

نهاية العالم

قطاع الثقافة

مكتبة الشعراوى الإسلامية

نهاية العالم

فضيلة الشيخ

محمد متولى الشعراوى

رئيس مجلس الإدارة:

أبراهيم سعاده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
سَيِّدِنَا وَرَسُولِنَا مُحَمَّدٍ.
أَسْأَلُ اللَّهَ أَمْرَهُ تَكْرِهُ حَذْرَهُ تَلْتَبِّي
الَّتِي هَنْئَتْ رَحْمَةَ حَلْقَتْهِ خَلْصَرَهُ عَلَى
طَرْبِيعِ الْجَهَنَّمِ وَنُورِ رَأْيِنِي الْمَلَكِيَّهُ بِإِيمَانِ
وَهَلْمَ نَسْأَلُ الْجَهَنَّمَ وَالْتَّرْفِيعَ لِمَ

محمد سعيد العروفي

الإخراج الفني
عبد الكريم محمود

الفلاح بريشة
الفنان : سيد عبدالفتاح

الفصل الأول



المتغير والثابت

الحاديـث عن نهـاية العـالم أخذ اهـتماماً من
الـعلماء ، وـمن الدـجالين والـمشعوذـين
وـغيرـهم ، كل واحدـ منهم يـحاول أن
يتـبـأ . . بـاليـوم أوـ الـوقـت الـذـى سـيـتـبـهـ فىـ
الـعـالم الـذـى نـعـيشـ فـيهـ . وـكـلـ النـظـرـياتـ
الـعـلـمـيـةـ الـذـى قـيلـ أوـ الـقـالـ ، أـسـاسـهـ

التـخـمـينـ والـظـنـ وـلـيـسـ الـعـلـمـ ، ذـلـكـ لـأنـ الـعـلـمـ الـبـشـرـىـ
بـطـاقـتـهـ المـحـدـودـةـ . لـايـكـنـ أـنـ يـصـلـ إـلـىـ يـقـيـنـ حـولـ هـذـاـ
الـمـوـضـوعـ ، فـعـلـمـ الـفـضـاءـ مـازـالـ كـطـفـلـ يـجـبـوـ . . إـذـاـ كـانـتـ آـخـرـ
الـاـكـتـشـافـاتـ الـتـىـ وـصـلـتـ إـلـيـهاـ الـبـشـرـيـةـ ، تـقـولـ أـنـ هـنـاكـ نـجـومـاـ
وـشـمـوـسـاـ أـبـعـدـ عـنـ الـأـرـضـ مـلـيـونـ سـنـةـ ضـوـئـيـةـ أـوـ أـكـثـرـ ، فـإـنـ
ماـ نـعـلـمـهـ أـقـلـ الـقـلـيلـ بـالـنـسـبـةـ لـمـ نـجـهـلـهـ فـيـ هـذـاـ الـكـوـنـ
الـفـسـيـحـ . .

لـقـدـ أـخـبـرـنـاـ اللـهـ سـيـحـانـهـ وـتـعـالـىـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ أـنـ السـمـاءـ
هـىـ كـلـ مـاـفـوـقـنـاـ . . فـمـعـنـىـ السـمـاءـ هـوـ مـاـ يـظـلـكـ مـنـ فـوـقـكـ ،
وـالـلـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ يـقـولـ :

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَا بِأَيْدٍ وَلَا نَلْمُوسُ عُونَ ﴾

(الآية ٤٧ سورة الذاريات)

وـالـاتـسـاعـ هـنـاـ بـالـنـسـبـةـ لـلـسـمـاءـ هـوـ اـتـسـاعـ بـقـدـرـاتـ اللـهـ وـلـيـسـ
بـقـدـرـةـ الـبـشـرـ ، وـلـذـلـكـ كـلـمـاـ اـعـتـقـدـ الـعـلـمـاءـ أـنـهـمـ وـصـلـواـ إـلـىـ
نهـاـيـةـ ، وـجـدـواـ كـشـفـاـ جـدـيدـاـ يـتـعـارـضـ مـعـ مـاـ أـعـلـنـوـهـ يـفـتـحـ لـهـ
آـفـاقـ جـدـيـدةـ ، وـتـغـيـرـ النـظـرـيـاتـ كـلـ عـدـةـ شـهـورـ ، تـثـبـتـ هـؤـلـاءـ
أـنـهـمـ ظـنـوـاـ . فـقـطـ أـنـهـمـ وـصـلـواـ إـلـىـ الـحـقـيقـةـ ، وـلـكـنـهـمـ لـمـ يـصـلـواـ إـلـىـ
شـئـ . .

إذا مانظرنا إلى العرافين والدجالين وجدنا أنهم في كل عام
أو عدة أعوام يتباون أن نهاية العالم ستحدث في يوم كذا !!
والعجب أن عددا كبيرا من الناس يصدقهم .. رغم أنهم
لا يستندون إلى علم .

لقد حدث في أمريكا أن تنبأ أحد الدجالين بأن العالم
سيتهى يوم كذا ، فصدقه الناس وتركوا منازلهم وصعدوا إلى
أعلى الجبال ظنا منهم أنها تنجيهم ، وطبعا من اليوم ولم يحدث
شيء ، وعرف الناس أنهم خدعوا .

وهنالك عشرات العرافين من الهند والشيخ وغيرهم ،
يعطون نبوءات عجيبة عن نهاية العالم كلها خاطئة ، لاتقوم
على علم ولا على فهم ، وإنما هي مجرد شعوذة يقصد منها كسب
المال .. ذلك أن موعد نهاية العالم لا يعلمه إلا الله سبحانه
وتعالى .. لأن له موعدا حددته الله جل جلاله ، ولم يطلع عليه
أحدا حتى أقرب ملائكته .

و قبل أن نبدأ الحديث لابد أن نتكلم عن الثابت والمغير ..

فالثابت هو الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى من أجل
الإنسان . لقد جعل الله هذا الكون الفسيح من سماء وأرض
وما بينهما مسخراً من أجل الإنسان يؤدى مهمته كما أرادها الله
بنظام ثابت لا يتغير ، أما الإنسان الذي خُلِقَ من أجله
الكون .. فهو الذي يتغير ..

إن الإنسان يتغير من قوة إلى ضعف ، ومن صحة إلى
مرض ، ومن قوة إلى عجز ، ومن حياة إلى موت ، ومن عقل

إلى جنون .

فالمتغيرات كثيرة في حياة الناس من حال إلى حال ..
بخلاف الكون الذي من طبيعته الثبات وعدم التغيير .

اننا اذا لاحظنا التغير الذي يعترى الإنسان نجد له يتم
بقانون لا نعرفه ، فانتقال الإنسان من الصحة إلى المرض ،
أو من القدرة إلى العجز ، أو من الحياة إلى الموت ، وهى أشياء
ليست لها عمومية الحدث ، بمعنى أننا لا نستطيع أن نحدد متى
ينتقل الإنسان من الصحة إلى المرض ، ولو عرفنا تحديده
وقوانينه ربما استطعنا أن نمنعه ونتحكم فيه ، وهو قانون غائب
عنا برغم كل ما يقوله العلماء ، فإنصابة الإنسان مثلا بجلطة في
المخ أو ذبحة صدرية أو غير ذلك ، لم يستطع الطب أن يصل
فيه إلا إلى قانون الاحتمال الذي يقوم على أساس الاحصاءات
التي قد تعطينا بعض الاحتمالات ، ولكنها مجرد ظن لا يستند
إلى حقيقة علمية .

كذلك انتقال الإنسان مثلا من الغنى إلى الفقر ، أو من
الفقر إلى الغنى ليس له قانون نعرفه ، وكذلك كل المتغيرات
التي تحدث في حياتنا . والإنسان - أيضا - لا يعرف متى يفارق
الدنيا ، قد يكون في أتم الصحة ويسقط ميتا في لحظة ، وقد
يكون الإنسان مريضا ويعيش سنوات طويلة .

ولكن لماذا كان الإنسان هو المتغير ، بينما جميع ما خلقي له
قوانينه ثابتة لا تتغير ؟ والجواب على ذلك أن هذا الكون خلق
للإنسان ليعطيه «قومات حياته» ، وأنه لم يخلق جيل واحد
يستقبله ثم يتنهى بإنتهائه ، بل هو مخلوق لأجيال من البشر

حتى يوم القيمة ، ولذلك هو يستقبل جيلاً بعد جيل بنفس
العطاء وبنفس القوانين .

إن الأرض منذ عهد آدم وحتى الآن إذا وضعت فيها الحب
وسقيته بالماء واعتنى به ، وخلصته من الآفات التي قد تصيبه
أعطتك الشمر ، ومنذ عهد آدم إلى الآن لم ترفض الأرض أن
تعطى كل جيل من ثمارها ، ولا هي قالت سأعطي الشمار لهذا
الجيل وأمنعه عن الجيل الذي بعده .

والشمس منذ عهد آدم حتى الآن تشرق بمقاييس ثابتة
وتغرب بمقاييس ثابتة . فلم نعرف أنها أعطت أشعتها لجيل
وامتنعت أن تعطيها لجيل آخر ، وكذلك المطر والهواء وغير
ذلك من مقومات الحياة .. إنها تعطى كل الأجيال ، لم
تختلف عن ذلك قط .. يدل ذلك على قول الحق سبحانه
وتعالى :

﴿الشَّمْسُ وَالثَّمَرُ وَحْسَابٌ﴾

(الآية ٥ سورة الرحمن)

(أي بحساب دقيق .. لا يختل ثانية ولا يتغير)

إذن هناك في الكون مخلوق ومخلق له .. المخلوق الذي
خلقت له الأشياء «وهو الإنسان» نراه يتغير ويبدل من حال إلى
حال وهذا واقع نشاهده ، إنه يتغير وذاته باقية .. أي وهو على
قيد الحياة إلى أحوال متعددة ، ثم بعد ذلك يتغير بفناء ذاته عند
الموت .. وهذا التغير الذي يمر به الإنسان - سواء في حياته
أو بعد موته - ليس له حدود ولا مواقف ، ولا مواقف
ولا أسباب ، إنها قوانين غائبة عنا .



الإنسان .. وقوانين المتغيرات

إن الإنسان في حياته يتغير كل يوم ، يخضع لقوانين لا نعلم عنها شيئاً ، فهو في حالة اليقظة له قانون ، وفي حالة النوم له قانون آخر لا نعرفه ، ولذلك عندما ينام الإنسان يرى أشياء لا تخضع للعقل .. يرى أنه يتكلم مع أشخاص انتقلوا إلى رحمة الله منذ فترة طويلة ، أو يسقط من فوق جبل فلا يصاب بسوء ، أو أنه يذهب إلى آخر الدنيا ويعود في دقائق معدودة . وهو يرى عيناه مغمضتان ، ويكتفى قدماه فوق السرير لاتحركان ، ويtalk ولسانه ثابت لا يتحرك ، ويرى أنه يذهب أو ينعم .

إن كل هذا يحدث في لحظة واحدة .. انتقال الإنسان من قانون اليقظة إلى قانون النوم ربما يحدث في أقل من دقيقة . وهذا يجعلنا نعرف أن انتقال الإنسان من قانون إلى قانون مختلف تماماً ، هو عملية سهلة على الله سبحانه وتعالى .. وإذا قرأنا القرآن الكريم .. نجد أن الحق تبارك وتعالى يقول :

﴿اللَّهُ يَنْوِفُ إِلَيْهَا الْأَنْفُسُ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُوتْ
فِي مَنَامِهَا فَيُكْسِلُ اللَّهُ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَرُسِّلَ
الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمٍّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَنْفَرُونَ﴾

(الآية ٤٢ سورة الزمر)

فانتقال الإنسان من اليقظة إلى النوم .. يشبه انتقاله من الحياة إلى الموت .. ورغم هذا التشابه .. فإن القوانين مختلفة . فالنائم ترد روحه إلى جسده عندما يستيقظ ، والذى يُتوفى لا ترد روحه إلى جسده إلا يوم القيمة .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«والذى نفسى بيده إنكم لتموتون كما تنامون ولتبعشن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون . ولتعجزون بالاحسان إحسانا .. وبالسوء سوءا . وأنها لجنة أبدا أو لnar أبدا» .
والذى يموت يرى ساعة الاحتضار ما لا يراه الانسان ساعة النوم .. فهو يرى الملائكة ويرى كل ما هو غيب عنه ، ويعرف مصيره إلى الجنة أو إلى النار .

هذا الانتقال من قانون إلى قانون ، يتم دون أن يعرف أحد من البشر الكيفية التي يتم بها . إن هذا تغير من حال إلى حال ، ثم عودة إلى الحال الأول .. كلها قوانين غائبة عنا رغم أنها تقع علينا وتؤثر فيها !

وإذا نظرنا إلى الكون كله . نجد أن الكون يدار بما يفيدهنا ، ولكننا لانعرف كيف يدار ، فالمطر مثلا يشرب منه كل من في الأرض ، وهو أساس الحياة .. مصداقا لقوله تبارك وتعالى

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٌّ ﴾

(من الآية ٤٠ سورة الاتيات)

ولقد عاش الانسان فترة طويلة .. لا يعرف شيئا عن المطر

ولا يدرى كيف يتم البحر من البحار ، ثم يتكتشف الماء في طبقات الجو العليا ، ثم ينزل مطرا ، هل عدم علم الإنسان بكيفية نزول المطر منعه من الاستفادة منه في الرى والشرب وغير ذلك ؟ لا .. وحتى يومنا هذا لا فرق بين الذى يعرف كيف يتزل المطر ، وبين الذى لا يعرف في الانتفاع بالماء في الكون ، قليل من أولئك يعلمون ، وكثير أولئك الذين لا يعلمون ، ولكننا جميعا نستفيد ب المياه المطر ، وكذلك الشمس والهواء والأرض . علمت أسرارها وقوانينها أو لم تعلم .. فإنك تستفيد منها .

العلماء أجهدوا أنفسهم في البحث عن أسرار الكون ..
وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكشف لهم من أسرار الكون ..
مايزيد علمهم بما أودع الله في كونه من قوانين .

وهذه القوانين جعلت الحياة أكثر سهولة بالنسبة للإنسان
قللت مما كان يبذله من جهد ، فبعد أن كان الإنسان يذهب
إلى البئر ليشرب . أصبح الآن يجد الماء في بيته ، وب مجرد إدارة
مفتاح الصنبور تجد الماء أمامك .. هذه ارتقاءات في
الاستخدام ولكنها لم توجد الشيء المستخدم .

العقل واكتشافات الكون



الجاذبية مثلاً أدت عملها منذ أن خلق الله سبحانه وتعالي الكون ، ولم يعرفها الإنسان إلا متأخراً ، ولكنها كانت تؤدي دورها . . نقل الأثير للأصوات مثلاً وغير ذلك ، كلها تخدم الإنسان دون أن يعرفها أو يدرك قوانينها .

ولكي نقرب هذه الصورة إلى الأذهان نقول أنك إذا جئت بإنسان أمي . . وقلت له إذا أردت ضوء الكهرباء لتضيء هذا المكان . . اضغط على هذا المفتاح ، وإذا أردت أن تشاهد برامج التليفزيون أدر هذا المفتاح . . هل حال جهل هذا الأمي دون انتفاعه بضوء الكهرباء أو مشاهدة التليفزيون ؟ ! يحصل ، فهو كلما احتاج إلى ضوء ضغط على مفتاح الإضاءة . وكلما أراد مشاهدة برامج التليفزيون أدار المفتاح .

إذن فعدم علمه بأسرار الكهرباء وقوانينها ، أو أسرار نقل برامج التليفزيون وكيف يتم نقلها لم يمنعه من أن يستفيد منها وأن يستخدمها .

وكذلك كان الكون وسيظل ، وكلما بحث العقل البشري ، وكشف الله له من آياته في الكون . . ارتقى البشر في الانتفاع والنفع .

إن الأشياء التي كانت تتطلب مجهدًا شاقاً وزمناً كبيراً . . تتم الآن بجهود قليل وفي زمن أقل ، والذى كان يحمل أرداها

من الحبوب على ظهره ويعانى الكثير من نقله من مكان الى آخر . تلاشت هذه المعاناة باكتشاف العجلة ، ثم مالبثت أن تطورت حتى كانت هناك مركبات تجر باليد . ثم ارتفع العلم إلى ما نحن فيه من اختراعات حديثة .. اختصرت الزمن .. وقللت من المشقة ، وأراحت الإنسان .

ولكن هل هذه الاختراعات ، وهذا التقدم العلمي استطاع أن يوجد مادة لم تكن موجودة في الأرض؟ . بالطبع لا .. فالله سبحانه وتعالى هو الموجد لكل ما في الكون .. منذ بداية الخلق حتى يوم القيمة .. وكلما ارتفع البشر في حضارتهم عرفوا من آيات الله في الكون ما يعطفهم حياة أكثر ترقى : والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لِكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾

(من الآية ٢٩ سورة البقرة)

قدرة الخالق في إعجاز الخلق نراها كل يوم .. ومهمها تقدم الإنسان في العلم وتطور عقله ، أعطاه الله وكشف له من الأسرار ما كان غيبا عنه ، فإنه لا يخلق شيئاً جديداً ولا يصنع شيئاً إلا من موجود ، ومع أن هناك أشياء يعتقد بعض الناس أن الإنسان قام بالإسهام فيها . مثل الزرع مثلاً وتحسين النوع ، والاكتشافات الجديدة التي دخلت في خدمة الإنسان .. وقدرته على الطيران .. أو اطلاق الأقمار الصناعية .. أو التزول على سطح القمر .. إن هذه الأشياء كلها لم تحدث إبتداء ، وإنما تمت من موجود كان خافيا حتى لحظة اكتشافه !

فالإنسان لكي يكتشف الصاروخ .. درس قوانين الغلاف الجوى ، ودرس قوانين الطاقة الموجودة التي يحتاجها الصاروخ .

ولكن هل كانت هذه القوانين غير موجودة في الكون عندما خلقه الله ؟ .. طبعاً كانت موجودة ، وهى من خلق الله من أول ما قال سبحانه وتعالى للكون : «كن» .

إن أحداً لا يستطيع أن يدعى - مهما بلغ علمه - أنه قد صنع غلافاً جوياً جديداً للأرض ، أو أنه قد بدل أو غير في تكوين الغلاف الجوى حتى يستطيع أن يحمل صاروخاً إلى الفضاء . أو أنه قد فتح باباً للغلاف الجوى حول الأرض ، حتى يمكن للإنسان أن يخرج منه ويصل إلى القمر ..

لأحد يستطيع أن يدعى أنه فعل ذلك ، فالله تبارك وتعالى .. هو الذي خلقه وأوجده على هذه الصورة ، ثم كشفه للإنسان وعَرَفَهُ استخداماته .

إذن كلما ارتقى البشر في حياتهم .. زاد علمهم بأيات الله في كونه .. ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الظَّالِمُونَ﴾

(من الآية ٢٨ سورة فاطر)

لماذا لابد أن يكون العلماء أكثر خشية لله ؟ .. لأنهم هم الذين عرفوا بعض آيات الله في كونه ، تلك الآيات التي تشهد بعظمة الخالق ، ودقة صنعه ، وبدل أن يسجدوا خضوعاً لعظمة الله ، أخذوا يتحدثون عنها اكتشفوه من أسرار الكون وكأنهم هم الذين أوجدوه !

والله سبحانه وتعالى يقول في حكم آياته :

﴿سَرِّيْهُمْ أَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرِّبِّكَ أَنْدُعُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

(الآية ٥٣ سورة فصلت)

وكلما مر الزمن . نقرأ الآية الكريمة : «سريرهم» .. كان آيات الله تبارك وتعالى في كونه وفي خلقه حتى نهاية العالم .

إننا لا بد أن نتوقف قليلا ، لنرى كيف أن منهج الله موضوع بدقة فائقة ليقود الإنسان إلى الإيمان . فكل ما في هذا الكون وضع بحكمة لخدمة الإيمان ، ولخدمة منهج الله .

إن الله تبارك وتعالى اختار منهج الحياة خلقه ومعه الدليل الإيماني ، والله سبحانه وتعالى - هو غيب عنا لأنراه - قد يأقى إنسان ويقول : أنا لا أصدق إلا ما أراه !! نقول له لا تسرع ، لأن الوجود شيء ، وإدراك الوجود شيء آخر تماما .

ولنأخذ الجراثيم التي تفتكت بالبشرية وتآتينا بالأمراض مثلا .. ألم تكن هذه الجراثيم موجودة عند بداية الخلق ؟ نعم كانت موجودة ولكن لدقة حجمها لم نكن نراها ، بل أكثر من ذلك ، إنها كانت تؤدي مهمتها في الكون ، ولها مهام كثيرة دون أن نعرف عنها شيئا ، ثم تقدم العلم واحتصرت المناظير المكبرة التي تكبر الشيء مئات المرات أو الوف المرات ..

فاكتشفنا هذه الجراثيم ، وإذا بها مخلوقات غاية في الدقة - لها قوانينها الخاصة بها ، ولها دورة حياتها وتناسل وتكاثر ، وتستطيع أن تخرق جلودنا ونحن لانحس بها ، وأن تدخل إلى الأوعية الدموية ونحن لانحس بها أيضا ، وأن تقضي فترة حضانة داخل الدم .. تكاثر فيها وتحدث معارك بينها وبين كرات الدم البيضاء .. إلى آخر ما نعرفه الآن بعد اكتشافنا لها ومعرفتنا إياها .

والسؤال هنا : هل خلقت هذه الجراثيم ساعة رأيناها ؟ .. طبعا لا .. إنما كانت موجودة منذ بداية الخلق ، ولكننا لم نكن نعرف أو ندرك وجودها .. وكذلك كل شيء في الكون . فالغلاف الجوي أو الأثير .. الذي يحمل لنا الآن الصوت والصورة ويطوف بها في كل أنحاء الأرض في ثوان معدودة ، بحيث تستطيع وأنت في بيتك أن ترى نزول الإنسان على القمر في نفس اللحظة التي ينزل فيها ، أو ترى حدثا هاما ساعة وقوعه وأنت جالس في حجرتك والحدث على بعد ألف الأميال منك .

والسؤال : هل أضاف الإنسان .. إلى الغلاف الجوي خاصية نقل الصوت والصورة حول العالم في ثوان .. الجواب طبعا لا .. فالغلاف الجوي كما خلقه الله سبحانه وتعالى موجود بكل خصائصه ، ولكننا لم نكتشف هذه الخاصية .. إلا في الفترة الأخيرة ، كما أنها لم نكتشف أن الهواء يمكن أن يحمل الطائرات بكل ما فيها من أجسام ثقيلة .

إذن كل الخصائص كانت موجودة في الكون عندما خلقه الله تبارك وتعالى . ولكننا لم نكتشفها إلا عندما أذن الله بها ،

فظهرت لنا وعرفناها واستخدمناها ، وذلك حتى يخدم كل
ما في الكون قضية الإيمان ..

فإذا جاءك إنسان وقال لك : إن الله سبحانه وتعالى غيب
فكيف نؤمن به ؟ ..

نقول له إن الله جل جلاله قد أعطانا من الأدلة في الكون
ما يجعلنا نعرف يقيناً أن ما هو غيب عنا موجود ، وإن لم نكن
نعرف وجوده ، والموقف هذا لا بد أن يخدم العلم قضية الإيمان
ويقربه لنا .. فكلما كشف الله لنا شيئاً .. قلنا سبحان الله
الذى خلق فأبدع فصَرُور ..

ولكن بدلاً من أن نتخدِّل العلم قضية تقربنا من الإيمان
أكثر . اعتقَدنا أننا وصلنا إلى هذه الأشياء بذاتيتنا ، وأننا نحن
الذين أوجدنَاها في الكون ، وأنها من صنعتنا ، ونسبناها إلى
بشريتنا بدلاً من أن نسبها إلى خالقها العظيم .. وأصبح
الناس يستخدمون العلم في محاربة الإيمان .. بينما العلم في
حقيقة مُثبِّت للايمان .

بقدرات الله .. لا بقدراتك

هذه هي المأساة التي يعيشها العالم الآن .. إننا نرى أن كل ثابت في الكون يخدم الإنسان جيلاً بعد جيل بدون تدخل أى ارادة بشرية .. وبدون أن ندرى عن قوانينه شيئاً.

لكن انقلبت الآية وأصبحنا ندعى أننا نخضع للأرض بذواتنا وأننا نجعلها تنبت لنا الزرع بقدراتنا ، بل تجاوزنا هذا المعنى لنطعن في المغيبات الخمسة التي أخبرنا الله سبحانه وتعالى عنها ، وأنها انكشفت للإنسان ، أصبح هناك من يقف أمام كاميرات التليفزيون ويقول إن الإنسان هو الذي ينزل الغيث أو المطر ، مع أن نزول الأمطار يتم بلا عمل منا ، فلا يوجد إنسان يستطيع أن يدعى أنه هو الذي يسلط أشعة الشمس على البحار ، حتى يصعد بخار الماء إلى طبقات الجو العليا ، ولا أحد يستطيع أن يقول أنه هو الذي يكشف هذا الماء ليصبح سحاباً ، ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه يصدر الأوامر إلى الريح لتدفع هذا السحاب إلى المكان الذي قدر الله فيه نزول المطر ، ولا أحد يمكن أن يقول إنه يجعل هذا السحاب يصطدم بقمم الجبال الباردة فيمطر .

كل هذه العملية .. تتم دون أن ندرى عنها شيئاً .. وأقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ وَمِنْ رِزْقِهِ مُحَلِّي حَيٍّ إِذَا

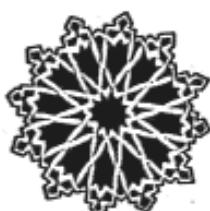
أَقْتَلَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَه لِبَلَدِ مَيْتٍ فَأَنْزَلَنَا بِهِ الْمَاء
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الْمَرَاتِ كَذَلِكَ
فَنَزَحَ الْمَوْتَى الْعَلَمُ كَذَكْرُونَ ﴿٢﴾

(الآية ٥٧ سورة الأعراف)

الله سبحانه وتعالى بقدرته .. هو الذي ينشئ السحاب .. وهو الذي يسوقه الى حيث يشاء . ويقول جل جلاله :

﴿ الْأَنْجِيلُ أَنَّ اللَّهَ يُنْجِي سَحَابَاتِمْ بِرَوْلِفِ يَنْتَهُ تَرْسِيْجَهُلَهُ وَكَامَا
فَزَرَى الْوَدَقَ مِنْخَرْجٍ مِنْ خَلَلِهِ وَيُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جَالٍ فِيهَا مِنْ
بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيُصِرِّفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا
بَرْقٌ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴾

(الآية ٤٣ سورة التور)





المغيبات .. والغزو الإنساني

الحق سبحانه وتعالى يذكر لنا في القرآن الكريم الحقائق الثابتة بالنسبة للمطر . ولأن العلم قد اكتشف أنه بالقاء مادة كيمياوية على السحاب تطر ، يأتى مدع مغورو ليقول إنه استطاع أن يتزد المطر ، وأن إحدى المغيبات الخمس التي انفرد الله بعلمه قد انكشفت له ، والتي جاءت في قول الله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدُهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا تَرَى نَفْسٌ هَذَا تَكْسِبُ غَدَّاً وَمَا تَرَى
نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ مَوْتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ﴾

(الآية ٣٤ سورة لقمان)

إننا نقول لهذا الإنسان أين أنت من نزول الغيث ؟ .. إنها عملية ضخمة هائلة .. تبدأ من البحر من البحار إلى أن يتزد المطر .. ولا يستطيع العالم كله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن يتزد قطرة ماء .. ولو كان الإنسان قادرًا على أن يتزد المطر لجعل المطر يرى الصحاري .. حتى ليتمكن من زراعتها .. أو كان من الممكن إذا نزل مطر غزير على أحد الأماكن ، أن يأخذ السحاب و يجعلها تطر في مكان آخر .. لينجى أهل هذا المكان من الفيضانات والغرق ، والله سبحانه وتعالى يتزد من

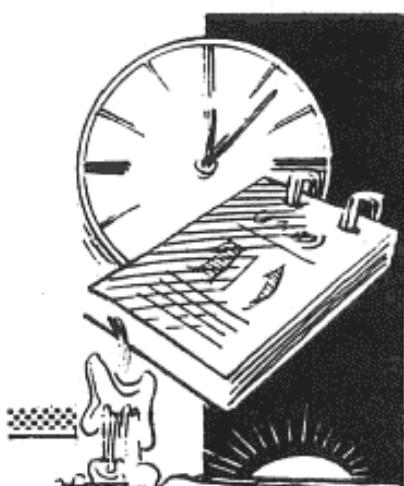
السماء المطر .. يشرب منه الناس جمِيعا .. هم وأنعامهم وكل شيء حي ، والله خلق الأنهر التي تتدل ألف الكيلومترات .. فهل يستطيع العلم أن ينشئ لنا ترعة صغيرة في وسط الصحراء ؟

إنها لما يحزن أن الناس بدل أن يستخدموا العلم استخدامه الصحيح لخدمة الإيمان .. إنطلقاوا يستخدمونه لخدمة الكفر والإلحاد ، وبدلًا من أن ينسبوا ما في الكون إلى قدرة الله سبحانه وتعالى .. نسبوه إلى أنفسهم وقدراتهم .

وخلالصة القول أن الكون كله مخلوق لله لخدمة الإنسان وأنه ثابت لا يتغير . أما الإنسان فإنه يتغير من حال إلى حال .. بقوانين غائبة عنا لا نعرفها ، وأن الله سبحانه وتعالى .. قد جعل آيات الكون كلها تخدم قضية الإيمان ولكن الإنسان جعلها تخدم قضية الكفر والإلحاد .



الفصل الثاني



البداية والنهاية

الله سبحانه وتعالى هو وحده واجب الوجود ، ووجوده بلا بداية ولا نهاية ، وكل خلق من خلقه له بداية وله نهاية . الكون كله بما فيه ومن فيه له بداية وله نهاية ، وعندما تقوم القيمة .. يتم تدمير كل شيء في هذا الكون .. بشمسه وقمره ونجومه وأرضه وجباره . يقول جل جلاله في القرآن الكريم عن هذه الحقيقة :

﴿ يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ
وَبَرْزُولِهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾

(الآية ٤٨ من سورة إبراهيم)

وهكذا يخبرنا الله جل جلاله في القرآن الكريم أن هذه الأرض التي نعيش عليها بالأسباب ، مطمور فيها أقواتها حتى يوم القيمة .. فإذا جاء يوم الحشر .. تدمير هذه الأرض وتألق أرض جديدة .. هي أرض الميعاد التي يبشر عليها الناس ويحاسبون .. وسوف نخرج من قبورنا في هذه الأرض ونساق إلى أرض الميعاد .. وهذا ما استحدث عنه بالتفصيل في الفصل القادم ..

اننا - نحن المؤمنين - نعرف بقينا أن هناك نهاية لهذه الحياة الدنيا .. لكن يوجد من يحاول أن يشكك في هذه الناحية مدعيا أنه ليس بعد الموت شيء ! وكل من يقول ذلك من الذين يعتقدون الوجودية والشيوعية وغير ذلك من مذاهب الاخاء ، لم يخرجوا عن فكر الكفار في كل عصر .. فالتفكير الملحد يكرر

نفسه ولا يرتقى أبداً ، لأنه مبني على أساس من الباطل ..
والباطل يكرر ادعاءاته بأشكال مختلفة . ولكن ليس فيه
مضمون جديد .. وإنما قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَا نَا الْدُنْيَا كَوْتُ وَنَحْيَا وَمَا أَهْلَكَ
لِلَّادَّهُرُ وَمَا هُمْ بِذِلْكِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُوَ إِلَّا يَنْظُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة الجاثية)

إنك إن بحثت في كل دعوة كافرة في هذا الكون - مع اختلاف النظريات والفلسفات وغير ذلك - تجد القائمين عليها ينكرون البعث ويسترون وجود الله سبحانه وتعالى الذي خلقهم وحيطتهم ثم يحيطهم .. وأقصى أمان الكافر لا يكون هناك يوم للحساب ، لأنه بطبيعته يطلق لنزواته وشهواته أن تفعل ما تشاء .. يسرق ويقتل ويکذب ويعتدى على أعراض الآخرين ويشهد الزور ، ثم بعد ذلك لا شيء !! هذه هي أقصى أمان كل كافر ، ولكنها أمانٌ كاذبة ، لأن هؤلاء جميعاً سيواجهون يوم القيمة بالله سبحانه وتعالى يحاسبهم على كل ما اقترفوه من آثام .. وما اعتنقوه من باطل وإنما قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَقْنِعُهُ يَحْسِبُهُ
الظَّمَآنَ مَا يَأْتِي إِذَا جَاءَهُ وَلَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ
عِنْدَهُ بِفَوْقِهِ حِسَابٌ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(الآية ٣٩ سورة التوز)

هذه هي الحقيقة التي ينكروها كل كافر ، ولكنها ستفاجئه ،
وحيثئذ لا تنفعه ثروات الدنيا كلها .

الإنسان وعناصر الأرض



و قبل أن نتحدث عن النهاية ، لابد أن نستعرض البداية بشكل مجمل لنرى كيف أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى الإنسان من الأدلة ما يجعله يؤمن ، بل إنه جل جلاله ساوي بين البشر جميعا ، بحيث يفهم كل إنسان هذه الأدلة ، ولا يتوقف فهمها - فقط - على الذين أوتوا حظاً من العلم .

الله سبحانه وتعالى خلق آدم من عناصر الأرض . والتحليل العلمي الذي تم أخيراً أثبت أن جسد الإنسان يحتوى على ١٨ عنصراً هى نفس العناصر الموجودة في الأرض . وهكذا نرى أن العلم توصل إلى ما كشف عنه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

الله سبحانه وتعالى بعد أن سوى آدم بيديه ، نفخ فيه من روحه فدببت الحياة في الجسد ، ثم خلق حواء من آدم أو من ضلع منه ، وهكذا فإن الإنسان من روح وجسد .. الجسد المادى تركه الله تبارك وتعالى ليكتشف الإنسان قوانينه على مدى العصور وعلى قدر ما يُؤتى من العلم ، ولكن الروح جعلها الله سراً مغلقاً على الإنسان لا يستطيع أن يصل إليها . وكل الأبحاث التي تجري عن الروح هي عبث ، لأنها سر لن يصل البشر إليه ، والروح لا تدخل في طاقة البحث العلمي .. إنك لا يمكن أن تأخذ الروح إلى المعمل وتجرى عليها تجارب لتعرف قوانينها ..

لقد حاول الإنسان وما زال يحاول ليعرف عنها شيئاً . فقد قام عالم سويسري بتجربة وضع فيها الإنسان وهو يختبر على سرير ملحق به ميزان غاية في الدقة ، ووجد أنه في لحظة الموت وعندما تخرج الروح من الجسد .. يفقد الإنسان جزءاً يسيراً من وزنه ، بعد هذه التجارب قال هذا العالم : إن الروح لها وزن دقيق جداً .. لا يتجاوز جزءاً من المائة من الجرام .. لقد أدعى هذا العالم السويسري أن هناك وزناً بسيطاً جداً للروح محاولاً بذلك أن يثبت أن الروح جرم مادي له وزن غاية في الدقة .

هناك من العلماء من أنكر وجود الروح وقال هي الزمن أو الطبيعة ، وبعضهم التجأ إلى فلسفات أخرى وقال إنها هي التي تعطى الجسم الحياة .. والله سبحانه وتعالى يقول عنها في كتابه المحكم :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيٍّ وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(الآية ٨٥ من سورة الاسراء)

ويجب أن ندرك أن هناك الروح ، وهناك الجسد ، وهناك النفس ، والنفس هي التقاء الروح بال المادة ، أو امتزاج الروح والجسد . والتکلیف من الله تبارك وتعالى لا يأق للروح وحدها ، ولا يأق بجسده خرجت منه الروح ، وإنما يأق عندما يتزوج الروح والجسد .. وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّهَا فَأَطْهَرَهَا فَوْرَهَا وَنَقْوَهَا قَدْ أَفْلَغَ

مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿٦﴾

(الآيات ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ سورة الشمس)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، وهى فترة التقاء الروح بالملادة ، وال العذاب في الآخرة والنعيم للنفس أيضا ، ولذلك يعيد الله تبارك وتعالى الخلق ، فيعيد الأجساد وتدخل فيها الأرواح لتكون معدة للحساب . ولذلك نجد آيات القرآن الكريم التي تحدثنا عن الآخرة لا تذكر فيها الروح وحدها ولا الجسد وحده ، بل تذكر النفس .. فيقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَمْ تُؤْفَ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُنَّ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(من الآية ١٦١ آل عمران)

وقوله تعالى :

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَأَلَتْ وَشَهِيدٌ ﴾

(الآية ٢١ سورة ق)

ويقول جل جلاله :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجِزُّونَ نَفْسًا شَيْئًا ﴾

(الآية ٤٨ سورة البقرة)

وهكذا نرى أن التكليف للنفس ، وال العذاب للنفس .. والنعيم للنفس ... باعتبار أنها امتزاج الروح بالجسد أو التقاء المادة بالروح .



ما هي الروح؟

وإذا أردنا أن نعرف الروح ، فإننا نقول إنها ذلك السر الألهي الذي يهب الحياة للهادئ ، أو هي إرادة الله سبحانه وتعالى لنا أن نحيا ، فإذا سلب الله هذه الإرادة .. انتهت الحياة بشكلها الدنيوي . والموت ليس نهاية لرحلة الحياة ، بل هو نهاية لحلقة من هذه الرحلة .. وبداية لحلقة جديدة .. لها قوانينها وحياتها التي يعلمها الله .

لقد بينما أن الإنسان يمكن أن ينتقل من قانون إلى قانون في لحظة واحدة ، فعندما يضع الإنسان رأسه على الوسادة وجسده على السرير ، فإنه لحظة أن ينام ينتقل من قانون إلى قانون ، وهذا ما وضحته .. فإذا استيقظ من النوم ففي نفس اللحظة ينتقل من قانون النوم إلى قانون اليقظة ، وكلاهما مختلف عن الآخر تماماً .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لنا أن الحياة الدنيا فترة قصيرة من رحلة الحياة الكبرى ، وشبهها بالمسافر الذي يقضى ببعض الوقت في ظل شجرة ثم يرحل ، ليعطينا صورة دقيقة على قصر زمن الحياة الدنيا بالنسبة لرحلة الحياة الكبرى . قال صلى الله عليه وسلم :

(مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها).

لقد تغير الإنسان في أمر الروح ، حتى أن اليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وكيف تهب الحياة
للجسد؟ .. وكانوا يعتقدون أن الرسول عليه الصلاة والسلام
سبأق لهم بأشياء من عنده يطعنون بها في صدق رسالته صل
الله عليه وسلم .. ونزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيٍّ وَمَا
أُوْتِيْتُمُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ سورة الإسراء)

أى أن الروح ستظل سرا من أسرار الله سبحانه وتعالى ..
وغيها عننا إلى يوم القيمة ..

ولكن الروح - التي هي غيب عنا - جعلها الله سبحانه وتعالى دليلا إلى الإيمان ، وقوة تلفتنا إلى قدرة الله تبارك وتعالى ، وتعلمنا كيف نمضي في طريق الإيمان ونحن واثقون من وجود الله واجد الوجود .. وواثقون من خلقه للكون ولنا .

والروح وإن كانت تعيش في جسد الإنسان .. فإن صاحب هذا الجسد لا يعرف عنها شيئا .. لا يعرف كيف دخلت ، ولا كيف تخرج؟ .. وأين مكانتها في الجسد البشري؟.

أهى في العقل الذي يعطي الاشارات لكل الجسم ليتحرك؟ .. أم هي في القلب الذي ينبض والأنسان جنين في بطنه؟ .. ويظل ينبع دون إرادة منها حتى تنتهي الحياة .. أم هي في اليد التي تبطش؟ .. أم القدم التي تمشي؟ .. أم العين التي تبصر؟ .. أم الأذن التي تسمع .. أم اللسان الذي يتكلم؟ .. أين هي؟ ..

الروح من أمر ربنا



لقد عجز عن ادراك الروح وكنها كل علماء الأرض الذين يجادلون في الله بغير علم ، ويأخذون الرؤية المادية على اساس أنها يقين العلم كله ، أولئك الذين يحاولون ستر وجود الله ويعلنون الكفر واللحاد .. والروح في أجسادهم وهي معهم في رحلتهم الدنيوية .

اننا لو توجهنا اليهم بسؤال محدد هو : هل الروح موجودة أو غير موجودة ؟ .. سيكون جوابهم بالقطع هو أن الروح موجودة لسبب بدهى هو أنها هي التي تعطى الحياة للجسد . ونقول لهم : اذا كانت الروح - وهي خلوق لله سبحانه وتعالى - موجودة وجودا يقينيا في أجسادكم لا يستطيع أن ينكره أحد منكم ، وموجودة وجودا يقينيا في كل شيء حتى ، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون رؤيتها أو معرفة تكوينها .. في الوقت الذي ترون آثارها على أجسادكم ..

اذا عجزتم عن هذا بالنسبة للروح ؟ .. فكيف تريدون رؤية الله سبحانه وتعالى .. لماذا تجاهرون بأن عدم رؤيته جل جلاله .. دليل على عدم الوجود !! .. ألا تكفى هذه التجربة التي في أجسادكم ، والتي تعيش معكم رحلة العمر لتؤكد لكم انكم تفترون على الله الكذب بهذا الادعاء ولو كتمت تعقلون لسجدتم لقدرة الله تبارك وتعالى الذي وضع فيكم هذا الاعجاز ليلفتكم إلى قدرة الله وعظمي علمه .

ولكن لماذا أخفى الله سبحانه وتعالى علم الروح عن البشرية ، ولم يعط البشر ولو علماً يسيراً عن الروح؟ .. نقول إن لهذا عدة أسباب :

أولاً لندرك عظمة قدرة الله .. ولنرى يقيناً هذه القدرة التي تضع في الجسد البشري ما يعطيه الحياة ، دون أن يستطيع أحد أن يعرف شيئاً عنها يهب الحياة إلى جسده .. وعندما نرى هذه القدرة نحس بعظم الخالق سبحانه وتعالى الذي وضع هذا السر فينا .. دون أن نستطيع اكتشافه ..

وثانياً أنه دليل وجود بلا رؤية ، دليل وجود لما هو غيب عنا .. فنحن نعرف يقيناً أن الأرواح في أجسادنا بالحياة التي تبها هذه الأرواح للأجساد ، فإذا خرجت توقفت الحياة .. وبذلك نعلم يقيناً أن الغيب موجود ، وأن عدم ادراكنا له ليس دليلاً على أنه غير موجود .. أنه محظوظ عنا ، نحن لا نراه ولكننا نستدل عليه بآثاره ، ونستدل عليه دليلاً يقينياً ، وخير شاهد على هذا هي الروح التي تسكن الجسد .. وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ﴾

(الآية ٢١ سورة النازيات)

إن نظرة الإنسان لنفسه وحدها تحمل الدليل اليماني على أن ما هو غيب عنا موجود نستدل عليه بآثاره . ألا يكفي هذا الكون بكل ما فيه من اعجاز الخلق ، ومن قوى أكبر من قدرات البشر جميعاً أن تدلنا يقيناً على وجود الله سبحانه وتعالى؟ ! .

النقطة الثالثة هي أن كل ما في الكون من حقائق علمية وقوانين كونية كانت تباشر مهمتها قبل أن يكشفها الله لنا ، واكتشافنا لها أخيرا ليس معناه أننا أوجدناها ، لكن معناه أن الله تبارك وتعالى أراد أن يعلمنا بها ، ولكنها كانت تؤدي مهمتها قبل أن نعلم عنها شيئا . اذا كان هذا دليلا كافيا للإيمان .. فلماذا غيب الله عنا الروح ؟ .

نقول : إن الاكتشافات العلمية محتاجة لأن يدرس الناس ويتعلموا حتى يصلوا إليها ، ولكن ذلك الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يستطيع أن يستوعب من العلم شيئا هل نتركه بلا دليل ؟ ..

الله سبحانه وتعالى يساوى بين عباده جميعا ، وجود الروح في الجسد شيء لا يحتاج إلى علم ، بل كل الناس تعرفه لأنها تعيش معه ويعيش معها ، فإذا دخل الشك لأى نفس بشرية فيكفى أن نضرب مثل الروح ليفهمه الباحث والمتعلم .. الذي قرأ وتعلم ، والذي لم يقرأ حرفا واحدا في حياته .. وحقيقة الروح - علمنا بها أو لم نعلم - لا تزيد من انتفاعنا بها أو تقلل منه ، فالانتفاع بالروح لا يقتضي العلم .. فهي تعطيك الحياة والقدرة وإن كنت لا تعلم عنها شيئا .

ويجب أن تتوقف قليلا عند قول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الإسراء)

ماذا تعنى كلمتي : «أمر رب» .. أو كيف يتم امضاء هذا

الامر .. يحدد الله ذلك في قوله جل جلاله :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

(الأية ٨٢ سورة يس)

إذن فأمر الله هو ارادته سبحانه وتعالى .. في أن ينتقل الشيء من علمه الالهي إلى حياة البشر بكلمة «كن» .. لذلك لا بد أن نتبين إلى قوله تعالى : (يقول له) .. وما دام الله تبارك وتعالى يقول له .. فإن الشيء موجود في علمه الذي وسع كل شيء ، فكل ما في هذا الكون من أحداث منذ بداية الخلق ، وقبل بداية الخلق إلى يوم القيمة ، وبعد يوم القيمة موجود .

هناك ميلاد لكل شيء .. في علم الله تبارك وتعالى ولذلك عندما سئل أحد العارفين عما يجري من أحداث على الحياة والناس قال .. هي أمور يبديها ولا يتبدىها ، ولذلك فإن الحياة الدنيا بكل أحداثها موجودة في علم الله ، والحساب يوم القيمة والجنة والنار ، كلها موجودة في علم الله ، بحيث لو أراد الله تبارك وتعالى أن يكشفها لمن شاء من خلقه ، فإنه يكشفها .. وإنما قوله جل جلاله :

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ كُلُّ إِلَّا فِي
كِتَابٍ قَبْلَ أَنْ تُبَرَّأُوهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

(الأية ٤ سورة الحديد)

إن أحداث الدنيا وما يقع من أحداث في الآخرة هي كلها

في علم الله سبحانه وتعالى ، ونخرج من علمه سبحانه .. إلى علم الإنسان بكلمة « كن » .. ولكن الإنسان كما وصفه الله سبحانه وتعالى ظلوم وجهول .. ظلوم لأنه مغorer يعتقد انه هو الذي حقق بنفسه وبذاته هذه الحضارات التي نعيشها .. وإن كان في الحقيقة لم يحقق شيئاً الا باستخدام العقل المخلوق له من الله في توجيه الطاقة المخلوقة له من الله .. في المادة المخلوقة من الله ، ليكشف الله له ما شاء من قواطين الكون فيستخدمها في ارتقاء حياته .. وارتقاء الحياة كما قلنا .. أن يحدث الشيء في وقت أقل وبجهد أقل .

في الماضي كنا نصعد السلم إلى الأدوار العليا ، وكانت هذه عملية شاقة ، فأصبح المصعد الآن يأخذنا إلى الدور الأخير في وقت أقل وبجهد أقل .

كنا في الماضي إذا أردنا الذهاب إلى مكان .. نمشي إليه ، الآن أصبحنا ننتقل بالسيارة والطائرة وغيرهما من وسائل النقل الحديث بجهد أقل وفي زمن أقل .

ولكن الإنسان عندما رأى هذا التقدم العلمي عبد الدنيا .. وهو جهول في ذلك قد بلغ المدى في الجهل .. وهذا لسببين :

الأول أنه يمضي في هذه الدنيا فترة ثم يفارقها ، والخالق لا يغادر مخلوقه .

والجملة الثانية أنه يفعل الشيء في الخفاء ويكون حريضاً على أن يخفيه عن عيون الناس فلا يراه أحد ، ويحسب أنه قد فعل

شيئاً لا يكشفه أحد.. ولكنك ينسى أن الله تبارك وتعالى يراه في كل ثانية ولا يخفى عليه شيء حتى ما في الصدور ولذلك ورد في الآثر عن الله جل جلاله :

« يا عبادى إن كتم تظنون أن لا أراكم فالخلل في إيمانكم ، وإن كنتم تعرفون أن أراكم فلِمَ جعلتموني أهونَ الناظرين اليكم ».

هذه هي الحقيقة التي يعرفها الجميع وينسونها أو يتناسونها لتحقيق شهوة النفس والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُو كُمْ أَيْمَكُ أَحْسَنُ عَفَّةً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ .

(الآية ٢ سورة الملك)

وحيث يتحدث الحق تبارك وتعالى عن حكمة الخلق ، وان الحياة مجال اختيار لنا لنحسن الطاعة ونحسن العبادة ونحسن الالتزام بمنهج الله .. ذكر الموت أولاً قبل الحياة ، وذلك حتى يقتل غرور الدنيا في أنفسنا ، فكلما اغتر الإنسان ونسب ما في الكون لذاته ، ذكره الله سبحانه وتعالى بالموت ، ليعرف أن كل ما هو فيه من نعيم أو ملك له نهاية ، وأنه لا شيء يدوم ، وحيث يتذكر الإنسان ذلك لا تغره الدنيا التي هو مفارقها يقيناً ، ولكن الغرور البشري يصور للناس أنهم سيعيشون سنوات وسنوات .. حتى ذلك الذي بلغ من العمر أرذله .. يعتقد أن الوقت ما زال أمامه طويلاً !! .

لَا تغتر .. فالموت يأتي بغيته

لقد جعل الله سبحانه وتعالى الموت بلا أسباب ، إنه يمكن أن يفاجئنا في أي لحظة ، فليس معنى أن الإنسان يتمتع بصحة جيدة أنه سيعيش طويلاً ، وليس معنى أن الإنسان صغير في السن أن أماته عمرًا طويلاً . فالموت يأق للصغير وللكبير وللصحيح وللمريض . وقد يموت إنسان ممتنع صحة أو في سن صغيرة ، ويعيش إنسان مريض حتى يبلغ مبلغ الكهولة .

ولأن الله سبحانه وتعالى يحبنا ، فهو لا يريدنا أن نفتر بالحياة ، وأن نونقن باستدامتها ، بل علينا أن نتوقع النهاية في أي وقت ، وذلك حتى نسارع في الخيرات ونفتتن عن المعاصي ، لأنني لو علمت أنني سأموت في سن الخمسين أو الستين مثلاً .. فإنني قد ارتكب المعاصي وأظلم الناس وأخذ المال الحرام ، حتى إذا وصلت إلى ما قبل موعد الموت بعام أو عامين .. فإنني أتوب إلى الله وأفعل الخير !!.

إن مثل هذا لو حدث في الواقع لامتلاك الكون بالمعاصي وقل منه الخير ، ولكن إذا علمت أن الحياة تتوقف في آية لحظة ، فإنني أسارع إلى الخير ، ولذلك يصف الله عباده الصالحين الذين لهم منزلة عالية عنده وعلى رأسهم الأنبياء .. بقوله تبارك وتعالى :

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسِرِّعُونَ فِي الْخَيْرِ وَيَدْعُونَنَا رَغْبًا وَرَهْبًا﴾

(من الآية ٩٠ سورة الأنبياء)

والمسارعة في الخير مطلوبة .. لأن الإنسان لا يضمن
عده ، وهذه أحدى حكم اخفاء موعد الموت .. كى نسارع
بالعودة إلى منهج الله قبل أن يدهمنا الموت في أى لحظة من
ساعات الليل أو النهار .

وإذا أردنا أن نجمل ما فصلنا في هذا الباب فإننا نقول : إن
هذا الكون كله مخلوق للإنسان ، مسخر له بقدرة الله وليس
بذاته ، وأن العلم الذي يكشفه الله لنا هو من قوانينه في
الأرض التي تعمل منذ بداية الخلق .. ولكنها كانت غيباً عنا ،
وأن الإنسان لا يملك في هذا الكون حتى نفسه ، فالروح التي
تدخل الجسد لتعطيه الحياة وإذا خرجت يموت هي من أمر
الله ، لم يطلع أحداً منها على سرها .. وإذا كان الإنسان
لا يملك حياته في هذا الكون .. فكيف يملك الكون نفسه ؟ .

إن الدنيا كلها اقتربت من نهايتها ، يشعر الإنسان أنه قادر
عليها .. فيستخدم ما يكشف الله له من علم في محاربة
الإيمان !! بدلاً من أن يستخدمه في الاعتراف بعظمة الله
وقدرته .

ولكن كيف يستقبل المؤمن ذلك العلم الذي يتقدم كل
عام ? ..

وما هو المنطق الإيماني الذي يتلقاه به ؟ ..
وكيف أن الإنسان في نهاية الكون سيعتقد أنه قادر على كون
الله ؟ ! .

هذا ما نفصله إن شاء الله في الفصل التالي ..

الفصل الثالث



الاستقبال اليماني للحياة

الله سبحانه وتعالى يريد منا أن نستقبل
الحياة استقبالاً إيمانياً .. بحيث يُذَكِّرُنا كل
تقدُّم يحدث في الكون بقدرة الله وعظمته
فمزيداً يقيناً .. ولكننا في الحقيقة نفعل
عكس ذلك . فكلما تقدُّم الزمن وثقنا في
قدرة الإنسان ، وبعدنا عن منهج الله .

ورغم أن الله تبارك وتعالى قد بين لنا أن كل أحداث هذا
الكون موجودة في علمه قبل الخلق ، فإن هناك من يدعون أن
الإنسان الذكي يستطيع أن يصنع قدرةً بنفسه ، وأنه كلما تقدُّم
العلم ليعطينا شيئاً جديداً من قوانين الكون .. نحسب أننا
نحن الذين وضعنا هذه القوانين ، وأنها تعمل بأمر منا وليس
بقدرة من سخرها لنا ، وأنا قادرٌ على أن يجعل الأحداث
تفعل ما نشاء وتحقق لنا ما نريد بعلمنا ، ولكن الإنسان أعجز
من أن يفعل شيئاً في الكون ، ذلك أن الكون لا يخرج عن
مراد الله الفعلى .. ولا شيء في كون الله يخرج عن أمره .

قد يقول بعض الناس .. وهل الذين كفروا ولم يؤمنوا بالله
أرادهم الله تبارك وتعالى كفاراً؟ ..

نقول لهؤلاء : إن الكفار خالفوا مراد الله (الشرعى) في
كونه ، ولكنهم لا يستطيعون أن يخالفوا أمر الله (الفعلى) في
كونه . إن في مقدورهم أن يخالفوا مراد الله الشرعى في الأمر
والنهى ، وذلك لأن الله خلقهم مختارين في أن يطاعوا أو أن
يعصوا ، ولو لا أنه سبحانه وتعالى أعطاهم حريةً هذا
الاختيار ، ما كان واحد منهم يستطيع المعصية ، فكل ما في
الكون مخلوق على القدر .. الا الإنس والجان فلهم حرية

الاختيار في المنهج في افعل أو لا تفعل .

اننا نقول لهؤلاء الناس الذين يدعون أن لهم اختيارا في كون الله ، و اختيارا بلا حدود ، والقول موجه لكل واحد منهم: إذا كنت قد تأبى على طاعة الله في منهجه ورفضتها ، فلا تحسب أن لك اختيارا كاملا في الكون ، بل أنت خاضع لأقدار الله .. والإ فقل لي هل في استطاعتك أن تدفع عن نفسك المرض وختار الصحة ؟ بالقطع لن تستطيع ، وإذا جاءك الموت فتمرد على قدر الله وقل لن أموت ، ولكنك لا تستطيع ، وإذا اصابتكم مصيبة في أهلك أو أولادك فامنعوا . ولكنك لا تستطيع ، وإذا توقف قلبك فأعد اليه النبض مرة أخرى .. ولكنك لا تستطيع .. ذلك أنك مقهور في أشياء ، مختار في أشياء أخرى .. والاختيار جاءك بمشيئة الله ، فلا يغرك هذا الاختيار لتحسب نفسك أصيلا في الكون !

لقد صنع الانسان - بعد أن كشف الله له بعض اسرار كونه - ما يطير به في الجو ، وما يغوص به في أعماق البحار ، وما يحمله إلى سطح القمر ، وما يقرب له البعيد ، فظن أنه أصبح قادرا على كل شيء .. نقول من يدعى ذلك بغير علم إنك إذا كنت قادرا كما تدعى .. فقدرتك على الشيء تجعلك قادرا على أن تستيقنه لنفسك ، ولكنك قد قدرت بأمر الله على أن تستفيد من قوانين الله في الأرض ، ولكن لا تستطيع أن تجعل هذه القوانين وفق هواك . فما يحدث في الكون خارج عن قدرة البشر جيلا .. والا لما فاجأت الأحداث الناس ، وما كان من يملك لا يملك ، ولما وجد من كان يحكم شعوبا أو دولة نفسه بين يوم وليلة طريدا مذعورا ، يهرب من مكان

إلى مكان .. يختفى من الناس ليحاول استبقاء حياته ، ثم يعثرون عليه فتكون نهايته .

إن الله وحده الذى له الحكم والأمر هو الذى يمكن أن يتزع
منه الحياة أو الحكم أو المال بين يوم وليلة .. أو بين لحظة
وأخرى . ولو أنه جاء إلى الحكم باختياره وقدراته ، لما استطاع
أن يتزعه منه أحد .. ولكنه جاء بقدرات الله وبأسباب الله
في كونه .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يتزعه
منه ما وحبه إياه واستخلفه فيه في أية لحظة .. وافقاً قوله تبارك
وتعالى :

﴿ قُلْ اللَّهُمَّ مَلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَلَا يَرْجُعُ مِنْ تَشَاءُ وَلَا يُنْذَلُ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ
الْخَيْرِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الآية ٢٦ سورة آل عمران)

إذن الملك لا يأتيك بأسبابك ، ولا يتزع منك بإرادتك ..
ولكنها أقدار الله سبحانه وتعالى هي التي تعطيك الملك وهي
التي تزع منك الملك . فإذا احترمت قدر الله فيك .. أعطاك
ما تشاء ، وإذا حاولت أن تتمرد .. أخذ منك ما أعطاك .

الله سبحانه وتعالى يقول في حديث قدسي :
(يا بن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك
وبدنك ، وإن لم ترض بما قسمته لك ، فوعزق وجلاي
لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش في البرية
ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك و كنت عندي مذوما) .

الله سبحانه وتعالى يهب من قوته قوة ، ومن غناه غنى ، ومن قدرته قدرة . ولكن الإنسان يعتقد أنه هو الذي أخذ هذا بذاته ، وأنه يستطيع أن يفعل وأن يغير وأن يبدل .

لقد استطاع البشر خلال ارتفاعات حياتهم المادية أن يتوصلا إلى أشياء وإلى اكتشافات ، ولكن كل الاكتشافات العلمية لا تستطيع أن توجد من عدم ، وإنما هم يأخذون المادة التي خلقها الله ويستخدمون العقل المخلوق من الله فيها يفعلون .

وعلى سبيل المثال الذي يضع الكوب يستخدم المادة الموجودة في الأرض من الرمال الخاصة ، والطاقة التي خلقها الله في الكون لصناعة هذا الكوب ، ولكن هناك فرق بين ما يصنعه البشر ، وما يتم بقدرة الله تبارك وتعالى .

وكل صناعات البشر لا يستطيع الإنسان أن يهب لها الحياة ، ولا يجعلها تتکاثر بذاتها لتعطيك مثلها . فلا يستطيع إنسان أن يصنع كوبا ذكرًا وكوبا أنثى ثم يجعلها تتکاثر بذاتها ، كما أنه لا يستطيع أن يعطيها خاصية النمو ، بحيث تنمو الكوب الصغيرة وتصبح كوبا كبيرة . فصنعة المخلوق تبقى على حالتها ولا تنتج مثلها ، ولكن صنعة الله سبحانه وتعالى تختلف ، ذلك أنه خلق من غير موجود .. أى أنه ليست الصنعة فقط من خلقه ، ولكن المادة أيضا من خلقه ، وليس الصنعة على غرار شيء موجود ، ولكنها خلق من غير موجود .. هذا هو الفارق بين صنع الخالق ، وصناعة المخلوق .

الله أحسن الخالقين

إن صنعة الله خلق ينمو بذاته ، ويعطى مثله ليتكاثر ذاتيا ، والمخلوق لا يستطيع أن يفعل ذلك ، ومع ذلك ما ضمن الله على خلقه بأن يسميهم خالقين ، واحترم عمل عقوفهم فيما أوجدوا ، ولكنه سبحانه وتعالى سمي نفسه أحسن الخالقين .. واقرأ قوله جل جلاله :

﴿فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

(من الآية ١٤ سورة المؤمنون)

ان الله سبحانه وتعالى خلق من لاشيء ، وأنت خلقت من شيء موجود . وهو سبحانه خلق ما يحس وينمو ، وأنت صنعت ما لا يحس ولا ينمو ، وهو جل جلاله خلق شيئاً يتكاثر من مثله ، وأنت لا تستطيع ذلك .

إننا إذا أردنا الطعام مثلا ... نأق الأرض نحرثها ونزرعها ، ثم نحصد ونطحن ونخبز ونعد الطعام . إذن أنا أخذت من كون الله بالفكر الذي أعطاه لي ، والطاقة التي زودني بها ، وكل هذه الأشياء موهوبة من الله ، وكل ما فعلته أنني استخدمت موجودا .. ولكن الأصل في الوجود أنا لم آت به ، ذلك أن الخلق الأول من الله سبحانه وتعالى .

حبة القمح التي زرعتها وأنتجت لك المحصول من أين جئت بها؟ .. من المحصول الذي قبله . ومن أين أتيت

بالمحصول الذى قبله ؟ .. من ذلك الذى زرع منذ عامين .. وتظل تمضى في تتبع حبة القمح التي في يدك ، لتصل بها إلى البداية .. وهى أنها من صنع الله الذى أتقن كل شيء .. من الله سبحانه وتعالى .. وهل أوجدها الله جل جلاله من محصول سبق ؟ .. لا وإنما أوجدها من عدم .

وكذلك كل ما في الكون .. الإيجاد الأول من الله . والله سبحانه وتعالى هدى الإنسان إلى أن يعرف خصائص هذا الوجود الأول ، ليأخذها وتعطيه وجودا ثانيا وثالثا ورابعا وهكذا ، ثم بعد ذلك تدور دورة الحياة مرات ومرات .. واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تَعِيْدُهُمْ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الأنبياء)

وهكذا نصل يقينا إلى أن أصل كل شيء في الدنيا من الله سبحانه وتعالى . إنهم يتحدثون الآن عن الصفات الوراثية ، وما يمكن أن تؤدي إلى تحسين أنواع النبات وغير ذلك .

ونحن نقول لهم : هل هذه الصفات الوراثية أنتم أوجدتموها ، أم هي من خلق الله سبحانه وتعالى ؟ .. إذن فأنتم تأخذون من موجود ، ولكن إذا أردتم أن تنسروا لأنفسكم هذا الخلق .. فأوجدوا أنتم صفات وراثية من عدم ، فإن لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فاحترموا خلق الله في كونه ، وانسربوا كل شيء إلى الله .. لا إلى ذاتكم .



هذا خلق الله

الانسان حين يرى المدنية والتقدم .. فإن عليه أن يفك
تفكيراً إيجابياً فيها وصل إليه ، من مدنية وتقدم ، وأن يرى بعين
بصيرته تسخير الله هذه الموجودات ..

لقد كنت مرة في زيارة لمدينة سان فرانسيسكو الأمريكية
وأرادوا أن يهروني بما استطاع أن يحققه العلم ، فأخذوني إلى
أضخم الفنادق التي يدار فيها كل شيء بالأزرار ، والتي تتم
فيها الخدمة بطريقة آلية .. بحيث تحصل على ما تريده وأنت
جالس في غرفتك . تضغط على زر في أيديك فنجان القهوة الذي
ترىده . وتضغط على زر في أيديك فنجان الشاي أو الطعام الذي
ترىده . وقالوا ما رأيك ؟ .. قلت اذا كان هذا ما استطاع
البشر بقدرات البشر أن يصنعه .. فكيف ستكون الجنة التي
هي مخلوقة بقدرات الله سبحانه وتعالى .. لابد أن فيها من
النعم أضعاف أضعاف ما يمكن أن يقدمه البشر منها ارتقاها
بالأسباب .

ثم ان هذا الذي يتم سبقه بإعداد بشري اشترك فيه عدد
كبير من الناس ، وهناك من طحن البن ، ومن أعد الماء
الساخن ، ومن وضع السكر . وهناك من يراقبه حتى
لا ينفد . فإذا شعر أن الموجود قليل وضع كميات جديدة .
اذن فكل نعيم يصنع بالقدرات البشرية وليس كما نراه
يحدث في دقيقة بالضغط على الزر ، ولكن وراءه إعداد طويل
اشترك فيه عدد كبير من الناس .

فليست المسألة - إذن - في أن تضغط على زر فتعطيك الآلة ما تريده .. هذا هو ظاهر العملية . ولكن البشر منها ارتفوا في العلم ، هل يستطيع هذا العلم أن يمدد بما تريده بمجرد أن يخطر الشيء على بالك فتجده أمامك ؟ هذا مستحيل وغير متصور على الإطلاق . ولكن في الجنة وبقدرات الله سبحانه وتعالى .. بمجرد أن يخطر الشيء على بالك تجده أمامك . ولا تجده أمامك بالامكانيات البشرية ، ولكن بقدرات الله تبارك وتعالى .. ذلك هو المنطق اليماني .. الذي يجب أن نأخذ به كل تقدم علمي .

إذا قيل لنا مثلا إننا نستطيع أن نستقل الطائرة ، خلال أقل من ساعة نصل إلى آخر الكورة الأرضية . وهذا ما لم يحدث حتى الآن .. ولكن لو أنه حدث فيجب أن نستقبله بكلمة «سبحان الله» .. ونقول إن هذا تم بقدرات وأسباب البشر .. فيما الذي سيحدث لنا بقدرات الله تبارك وتعالى ؟

إن كل هذا التقدم العلمي .. هو كشف لقوانين الله في الأرض .. هو أخذ بالأسباب ، ولكن أي نعيم ذلك الذي سنلقاه اذا انتقلنا من قانون السبب الى قدرة المسبب ؟ ..

أن هذا الارقاء البشري إنما يقرب إلى أذهاننا القدرات التي وضعها الله في كونه لنعرف عظمة الخالق ، وندرك أن ما سنلقاه في الآخرة سيكون نعيينا لا يوصف ، فلا تبعدها الأشياء عن الإيمان .. ولكن يجب ان تقربنا منه .. ولا تغرننا هذه الأشياء بأنفسنا وعقولنا ، ولكن تزيينا خضوعا لله سبحانه وتعالى لكننا - وللأسف الشديد - لا نلتقي العلم بهذا

المفهوم الاعياني ، بل تلقاه بأن الإنسان قد أوجد في الكون
ما يفوق كل القدرات !!

حين وصل الإنسان الى القمر ماذا قال الناس في تفسير الآية
الكريمة التي تقول :

﴿ يَمْعَلُونَ أَجْنَنَ وَالْإِنْسَانَ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفِذُوا مِنْ
أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفِذُوا
لَا تَنْفِذُونَ إِلَّا سُلْطَانٌ ﴾

(الآية ٣٣ سورة الرحمن)

بعضهم قال إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات
والأرض رغم أن الله سبحانه وتعالى قد تحدى الجن والإنس أن
ينفذوا من أقطار السموات والأرض .. بعض العلماء أراد أن
يسهلوا المسألة على الله تبارك وتعالى (!!) وقالوا إن المقصود
بهذه الآية (سلطان العلم) ونقول لهم : إن المقصود هنا هو
سلطان الله سبحانه وتعالى ، فلا تسهلوا المسألة ولا تهونوا من
قدرات الله جل جلاله .

إن القمر الذي وصلوا اليه هو ضاحية من ضواحي
الأرض ، وهو أقرب الكواكب اليها ، وأين القمر من أقطار
السموات والأرض ؟ .. إنه كوكب من كواكب السماء الدنيا
التي تعلوها سبع سموات ، كل سماء تحتل مساحة هائلة
لا يدركها إلا خالقها والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَافِرِ ﴾

(الآية ٦ سورة العنكبوت)

فَكُلُّ شَانِيَةٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَرْضِ .. هُوَ بَعْضُ مَا فِي السَّمَاءِ
الَّذِي نَا ، وَلَكِنْ هُنَاكَ كَوَاكبٌ تَبْعَدُ عَنَا مَلِيُونَ سَنَةٍ ضَوئِيَّةٍ ..
أَيْ لَوْ أَنَّ الْأَنْسَانَ سَافَرَ بِسَرْعَةِ الضَّوْءِ ؛ وَهِيَ سَرْعَةُ هَائِلَةٍ ،
وَكُلُّ الطَّاقَةِ الْمُوْجُودَةِ عَلَى الْأَرْضِ لَوْ جَعَتْ فَإِنَّا تَعْجَزُ عَنْ دَفْعِ
بَشَرٍ وَاحِدٍ إِلَى الْفَضَاءِ بِسَرْعَةِ الضَّوْءِ ، فَضْلًا عَنْ أَنَّ الْجَسَدَ
الْبَشَرِيَّ لَا يَتَحَمَّلَ هَذِهِ السَّرْعَةِ ..

نَقُولُ أَنَّهُ لَوْ فَرَضْنَا أَنَّ انسَانًا سَافَرَ بِسَرْعَةِ الضَّوْءِ ، فَهُوَ
يَحْتَاجُ إِلَى مَلِيُونَ سَنَةٍ لِكَيْ يَصُلَّ إِلَى هَذِهِ الْكَوَاكبِ .. هَذَا
مَا عَرَفْنَا ..

وَلَكِنْ هُنَاكَ كَوَاكبٌ وَعَوَالِمٌ وَشَمَوْسٌ لَا نَعْرِفُ عَنْهَا شَيْئًا ..
فَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ الْبَشَرِيُّ قَدْ أَسْتَطَاعَ أَنْ يَصُلَّ بِوَاسِطَةِ إِطْلَاقِ
الْتَّلِيسْكُوبِيَّاتِ فِي الْفَضَاءِ إِلَى هَذَا الْبَعْدِ الْمُوْجُودِ فِي السَّمَاءِ .. فَمَا
هُوَ الْحَجْمُ الْحَقِيقِيُّ لِأَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ ..

وَأَيْنَ هَذَا الْبَعْدُ مِنْ قَرْبِ الْقَمَرِ مِنَ الْكُرْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ . طَبَعًا
بَعْدَ الْقَمَرِ يَسَاوِي لَا شَيْءٍ بِالنَّسْبَةِ لِحَجْمِ السَّمَوَاتِ الَّتِي لَا يَكُنْ
لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ أَنْ يَصُلَّ إِلَى مَدَاهَا .. إِلَّا بِسُلْطَانِ اللَّهِ تَبارُكَ
وَتَعَالَى .

وَلَكِنْ لِمَاذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : « إِلَّا بِسُلْطَانٍ » .. وَلَمْ تَقْفَ
الْآيَةُ عِنْدِ قُولِهِ : « يَا مَعْشِرَ الْجِنِّ وَالْأَنْسِ أَنْ أَسْتَطِعَتُمْ أَنْ
تَنْفِذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفِذُوا »؟ ..

وَالْجَوابُ أَنَّهُ لَوْ تَوَقَّفَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عِنْدِ اسْتِحَالَةِ نَفَادِ الْجِنِّ
وَالْأَنْسِ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .. لَكَانَ ذَلِكَ يَلْقَى

الشك على معجزة المعراج لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
فرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده دون كل خلق الله من
الملائكة والجن والإنس وغيرهم تجاوز سدرة المتهى .. وهي
المكان الذي ينتهي فيه علم كل خلق الله حتى الملائكة
المقربين .. ولو بالوحي .

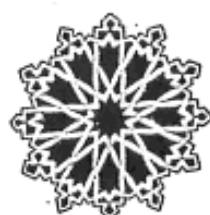
ان قول الحق سبحانه وتعالى : « لا تندون
الا بسلطان » .. أكد مصداقية معجزة المعراج ، لأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصل إلى سدرة المتهى وتجاوزها
بسلطان الله جل جلاله .. ذلك أن جبريل كان يتقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم في رحلة المعراج وهو يصعد
السموات سماء بعد أخرى .. إلى أن وصل إلى سدرة
المتهى .. فتوقف جبريل وطلب من رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أن يتقدم .. وقال جبريل لرسولنا عليه الصلاة
والسلام : لو تقدمت لاخترت ، ولو تقدمت أنت يا محمد
لاخترت .. وكل هذا حديث بسلطان الله تبارك وتعالى
وقدرته وحده .. ذلك أن تكوين جسد رسول الله عليه
الصلاوة والسلام كان يتغير كلما صعد من سماء إلى أخرى ،
ليتحمل ذلك النور الألهي في السموات .

اننا نقول لهؤلاء الذين يقولون ان المقصود في الآية هو
سلطان العلم .. أين سلطان العلم من قدرة الله سبحانه
وتعالى ؟ .. وإذا كان الله جل جلاله يقول في حكم آياته

﴿ وَمَا أُوْثِنَّاهُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(من الآية ٨٥ سورة الاسراء)

فهل هذا العلم القليل هو السلطان الذى سينفذ به الانسان
من أقطار السموات والأرضن؟ .. طبعا لا .. ولذلك كل من
قال إنه سلطان العلم متتجاوز في التفسير ، ولكن سلطان الله
تبارك وتعالى الذى صعد به نبينا صلى الله عليه وسلم إلى سدرة
المتهى . وتجاوزها .



الإيمان .. والتقدم العلمي



وأقول لمن يغترون بالعلم البشري .. أن قليل العلم الذي أعطاه الله للإنسان هو الذي صنع كل هذه الحضارات والتقدم العلمي المذهل الذي نراه والذي سرّاه الأجيال القادمة من بعدها إلى يوم القيمة . فإذا كان قليل العلم هو الذي صنع كل ذلك ، فهذا يمكن أن يصنع لنا علم الله في الآخرة ؟

إذن فالتقدم العلمي كان يجب أن يزيدنا إيماناً بالله وخشوعاً له سبحانه ونعيش في عالم الأسباب ، وهذا العالم تتفاوت فيه قدرات الناس في الاقبال على أسباب الله ..

إن يد الله ممدودة بالأسباب لكل خلقه ، والذي يأخذ الأسباب بجدية يقوى على غيره ، فقطعة الأرض التي يعتني بها الإنسان وحرثها جيداً وستنقى لها البذرة الصالحة .. تعطيه محصولاً جيداً ، وذلك الذي يترك الأرض بلا حرث ولا زراعة لا تعطيه شيئاً ، وهذا عطاء ربوبية .

لقد خلق الله في هذا الكون أشياء تتفعل « لك » ، وأشياء تتفعل « بك » .. الأشياء التي تتفعل لك تعطيك بلا مقابل ، وبلا جهد ، وبلا عمل منك .. عطاء لا عمل لك فيه . فالشمس والقمر والنجوم والغلاف الجوي كلها تعطيك دون أن تحتاج منك إلى جهد أو عمل من أي نوع كان .. وعطاؤها متساوٍ للجميع .. لا تعطى واحداً أكثر من الآخر ، ولا تخص شيئاً أو مجموعة من الناس بعطاء تمحبه عن الآخرين . هذه

هي الاشياء التي تنفعل لك .

أما الاشياء التي تنفعل بك .. فهي كل ما على الأرض .
إذا حرثت ويدررت تعطيك الأرض الشمر ، وإذا لم تحرث ، ولم
تبذر لا تعطيك شيئاً . إذا بحثت في باطن الأرض تجد البترول
والمعادن وغير ذلك مما هو في باطن الأرض ، وإذا لم تبحث
لا تعطيك الأرض من كنوزها شيئاً .

ان الرقي في الحياة الدنيا والتفاوت بين الدول المختلفة إنما
يأتي من الاشياء التي تنفعل بك . فمن عمل بجد واجتهاد
يرتفع في الأسباب ويقlim بين الأمم ، ومن لا يعمل لا يأخذ
شيئاً .

لقد كان الأجرد بنا - كامة مؤمنة - أتنا كما نرتقى في عطاء
الالوهية ، نأخذ بالأسباب في الأرض لترتقى في عطاء
الربوبية ، ولكننا لم نفعل ، وتركنا غيرنا يرتفع بالأسباب ونحن
لا نفعل شيئاً !! .

الأمم التي أخذت بالأسباب .. أعطاها الله سبحانه وتعالى
حرث الدنيا ولو كانت كافرة ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخْرَةِ فَنَزَّلْنَا لَهُ فِي حَرْثِهِ مِنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الْأَخْرَةِ مِنْ قَبْلِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِي الْأَخْرَةِ مِنْ نَصْبِبِ ﴾

(الآية ٢٠ سورة الشورى)

إن عطاء الدنيا هو عطاء ربويّة لابد أن نأخذ فيه
بالأسباب .. الله سبحانه وتعالى أعطانا في بداية الخلق
وبلأسباب مقومات ضروريات الحياة واستمرارها .. فمنذ
عهد آدم والماء والهواء والطعام وهي ضروريات الحياة مكفولة
للإنسان ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي استدعاه للوجود ،
فكان لابد أن يضمن له مقومات حياته .. لذلك أوجد
 سبحانه الماء الذي يشرب منه ، والثمار التي يأكلها لتحفظ
حياته .. والهواء الذي يتنفسه ، والأرض التي يسكنها .. كل
هذا من ضروريات الحياة وجده الإنسان من أول الخلق على
الأرض دون أن يبذل جهدا فيه . فإذا أردت أن تترف حيّات
وأرتقي بها ، فلا بد أن تعمل عقلى المخلوق من الله في الكون
المخلوق والمسخر لـ من الله .. وبذلك أصل إلى حياة
الرفاهية التي كما قلنا يتم فيها الشيء في زمن أقل وبجهود
أقل .



آيات الله .. وارتقاء الكون



لقد أعطانا الله سبحانه وتعالى ضروريات الحياة ، وأعطانا العقل والأسباب التي تعطينا ترف الحياة ، ثم طلب منا أن نتدبر في آيات الكون ، وألا نغرس على هذه الآيات وننحن غافلون عنها .. لذلك فإن التقدم الذي حدث كله .. حدث من علماء تدبروا في آيات الكون ، واستطاعوا أن يصلوا إلى قوانين الله في كونه .. وأن يستخدموها في التقدم ب حياتهم .. هذا هو العلم .. الأخذ بآيات الله في الأرض .

ولكن هل خلقنا الله سبحانه وتعالى لنعيش في كون الأسباب فقط؟ .. لا .. إن هذه مرحلة من رحلة الحياة الطويلة ، وفي المرحلة التي نعيشها في كون الأسباب لابد أن نتعب حتى تستريح ، فالذين قدموا كل الابحاث للبشرية تعبوا حتى وصلوا إليها .. ربما سهروا ليالي طويلة بلا نوم .. واجتهدوا حتى وصلوا إلى ما يريدونه .. هذا هو قانون الدنيا ، فلابد لكي تنجح أن تذاكر .. ولابد لكي تحصل على مرتب أن تعمل .. وهكذا

ان الله تبارك وتعالى يريد أن ينبهنا إلى أن هناك عطاء آخر غير عطاء الربوبية وهو عطاء الألوهية ، ولكن تستحق عطاء الألوهية لابد أن تجده وتعمل من الصالحات في الدنيا ، وأن تلتزم بمنهج الله حتى تستريح في نعيم الله في الآخرة .

وأنت منها تعبت في الدنيا ومها تنعمت ، فإن مصيرك إما أن تفوتها بالموت ، وإما أن تفوتك هي بقلة عطائها لك .. ولكن الله سبحانه وتعالى في الآخرة يجعل النعيم خالدا إذا انت تعبت في العمل بمنهجه في الدنيا .

وبإيجاز نقول : إن المنهج الإيماني كان يقتضي أنه كلما زاد الإنسان رقيا في العلم .. إزداد إيمانا وخشوعا لله سبحانه وتعالى .. وأتنا يجب أن ننسب كل شيء في الكون إلى خالقه وموجده وهو الله سبحانه وتعالى .. ونعرف أنه ما كان من الممكن أن نتقدم ، أو نزداد ترقى في الكون ، إلا لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع في كونه من الأسرار والقوانين ما يمكّنا من ذلك ، ولكتنا بدلا من أن ننسب الشيء لفاعله ، نسبنا لأنفسنا ، واعتقدنا أنها حققنا ذلك بذاتيتنا .. ويعلمنا وحسبنا أنها نسيطر على الأشياء بعقولنا وقوائيننا .. وليس بتسلية الله هذه الأشياء لنا .

وكانت هذه هي بداية البعد عن منهج الله .. والإيمان بمناهج البشر .. لأن الإنسان أغتر بعقله وقدرته .

الفصل الرابع



المألف ينتهي

الانسان يعيش في الدنيا وقد ألف أشياء
تعود على رؤيتها ومعايشتها حتى صارت
جزءا من حياته لاتلفت انتباها ، وهو
ما نسميه الثابت وغير المتغير في الحياة
الدنيا .. إنه ألف أن تشرق الشمس كل
يوم وأن تغرب ، وألف الليل والنهار ،
وألف البحار بقوانيتها ، والأرض بمظاهرها الثابت غير
المتغير .. ألف كل عطاء الأشياء الثابتة في هذا الكون .
ولذلك هو لا يفكر فيها .. إنه يأخذها وكأنها حق مكتسب ،
لا يتأمل في خلقها ولا في نظامها ، وقد لا يتساءل عن القوة
والقدرة التي خلقتها والتي تحفظها وتبقيها تعمل بهذا النظام
الدقيق .. ولذلك فإن هناك عددا كبيرا من الناس لا يفكرون
في تلك العطاءات الثابتة في الكون .. بل يأخذونها كأشياء
تعمل بذاتها ، وتعطيهم من نفسها !!

إن من العجب حقا أن الناس تزداد علما كلما تقدم الزمن ،
ولكنها - في نفس الوقت - تقل عملا بمنهج الله ! نحن كل يوم
نزداد علما بقوانين الله وآياته في كونه ، وكان من المفترض أن
ذلك العلم يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنه يكشف لنا من
أسرار قدرة الله في كونه ، ولكن زيادة العلم تزيد من شهواتنا
بالنسبة للحياة الدنيا وتسكننا بها .. ونظراتنا المادية إليها ،
فكثيرا تقدم الوقت .. سيطرت الشهوات على النفس
البشرية ، فكل يوم يمر يعطينا زيادة في العلم ونقصا في العمل
بنهج الله .

وذلك مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ أَنَّ رَءَاهُ أَسْتَغْفِي إِنَّ لِلَّهِ رِبَّكَ الْرُّجُوعُ ﴾

(الآياتان ٦ ، ٧ سورة العلق)

أى أن الطغيان البشري يأتينا حينما نظن أننا قد استغنينا عن الله سبحانه وتعالى ولم نعد في حاجة إلى العبادة . فالعلم ظاهرا يحقق لنا ما نريد . إذا أردنا السفر وجدنا طرقا مريحة سهلة وسريعة في طائرات مكيفة الهواء ، لا يحس الإنسان فيها بتعب ، وإذا أردنا الطعام والشراب وجدناه معدا لنا بطريقة حديثة وفي أكياس نظيفة ، و تستطيع وانت جالس في بيتك ان تستخدم التليفون في أي وقت كل ما تريده ، وإذا أصبتنا بمرض وجدنا أحدث الأجهزة العلمية التي تصور لنا كل ما هو داخل أجسامنا وكنا نجهله ، وتبين لنا أين المرض وما هو نوعه ؟ وما هي طريقة علاجه ؟ إن الأجهزة الحديثة تصور لنا مقاطع من كل ما في جسد الإنسان .. مقاطع المخ تبين لنا مكان الجلطة او الاصابة ، مقاطع من الكبد تحدد لنا أين المرض وما هي درجة .. وما هي وسيلة علاجه ..

ولقد تقدمت محاليل الدم .. لتعطينا صورة دقيقة لكل مكونات الدم .. حتى أصبح الناس يعتقدون ان الطبيب هو الذي يشفى !! بينما الطبيب يعالج فقط ، والله هو الذي يشفى ..

وقد يكون العلاج خطأ فيكون من أسباب إنتهاء الأجل .. وقد يأتي الشفاء على يد طبيب شاب حديث التخرج ، بينما فشل أساتذته الذين علموه في معرفة أسباب الشفاء ..

وليس معنى ذلك أن الطبيب الشاب يعرف أكثر من أساتذته الذين أخذوا العلم عنهم ؟ ولكن معناه أن لكل شفاء موعداً حددته الله سبحانه وتعالى . فإذا جاء موعد الشفاء ، كشف الله لهذا الطبيب الناشيء .. عن سر الداء فعالجه ، بينما فشل أساتذته في الوصول إلى العلاج ، ولكن الناس لا تلتفت إلى هذا بل ينسبون الشفاء إلى عبقرية الطبيب !

وهكذا يقل تذكر الناس للقدرة الالهية ، ويزيد اعتقادهم على القدرة البشرية وما تستطيع ان تتحقق ظاهرا ، فيلتفتون إلى اسباب البشر وينسون المسبب !! ويعبدون النعمة وينسون النعم !! فإذا أحضر أحدهم نوعاً من الفاكهة الممتازة يقول هذا من إنتاج مزارع فلان !! وينسى أن المعطى وخالق هذا هو الله سبحانه وتعالى ..

ان قليلاً منا - للأسف - هم الذين إذا بدأوا في تناول الطعام بدأوه بسم الله الذي أعطى وخلق ووَهَبَ .. وإذا اشبعوا فإن الكثرين منهم نادراً ما يقولون الحمد لله الذي رزقهم بهذه النعم .. بل إن الإنسان يعبد عقله ، فيعتقد أن ما حققه في الحياة من نعم .. هو من ناتج هذا العقل لأنه ذكي ، ولأنه مفكر وعقلاني ، ويتباهى بذلك أمام الناس ، ويعتقد أن النعمة لا تزول عنه لأنه يحسن التصرف ويحتاط لكل شيء ، تماماً مثل صاحب الجتين الذي نسب النعمة لنفسه .. وقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

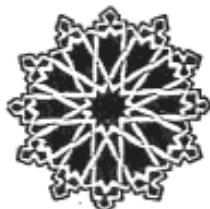
﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَظِلَّ مِنْ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظَنْتَ أَنْ تُبَيِّدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظَنْتَ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتَ ﴾

إِلَى أَرْضِي لَأُحِدَّنَ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾

(الآياتان ٣٥ و ٣٦ سورة الكهف)

فكان صاحب الجتين قد نسب النعمة لنفسه ، وقال إنه بأسبابه البشرية قادر على أن يحفظ النعمة ويقيها ، وأنها لا تزول عنه أبدا !

ونحن حين نرى شيئاً جميلاً لابد أن نتذمّح الصانع ، ولكتنا في هذه الأيام نتذمّح البشر فنقول إن فلاناً جعل من أرضه جنة !! وإن فلاناً قد فعل كذا وكذا ، وإن فلاناً قد اخترع كذا وكذا ، ولا نقول بعون الله ولا بتوفيق الله .. ولا نذكر الله تبارك وتعالى الذي هو المعطى وهو المانع !!



اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع

وما دمنا نعتمد على اشياء تعطينا الراحة وتحقق لنا النعيم ، نحسب أننا قد استغنينا بعملنا عن قدرة الله ، ويؤمن الانسان بنفسه ، حتى أنه يشرع لنفسه بما يتناقض مع منهج الله ، ولا يكتفى بهذا ، وإنما يصف المنهج السماوي بأن فيه قسوة !! ويفترى بأن فيه تخلفا أو أنه لا يساير العصر !! والحقيقة ان الذي يتخلل هو الذي يتعد عن منهج الله .

وسر ارتكان الانسان الى الحياة المادية واعتماده عليها إنما حدث لأن هذه المادية لاتقيينا بسلوك معين يمنع شهواتنا ، بينما منهج الله يقيد سلوكنا في الحياة بما يحقق لنا الحياة الكريمة ، ولكننا لانلتفت الى ذلك ..

ليس معنى أن الله سبحانه وتعالى عندما قال لي لا تسرق قد قيد حرفي في أن أمد يدي إلى مال غيري .. هذه نظرة ضيقة ولكنه في الحقيقة قد قيد المجتمع كله في أن يمد يده إلى مالي .. فحهامي - وأنا الفرد الضعيف - من مجتمع يمكن أن يحردني من كل شيء .

وحين يطلب مني سبحانه وتعالى . ألا اعتدى على عرض غيري ، يكون قيد حرفي في أنني إذا أعجبت بأمرأة متزوجة من غيري أن أغريها واعتدى عليها ، ولكننا لاننظر إلى أن الله سبحانه وتعالى قد منع الألوف من الأزواج والشباب في أن يعتدوا على عرضي ليصبح مباحا للجميع .

هذا ما يفعله منهج الله .. أنه يحميني ، ويحمى مالى وعرضى وأولادى .. ولكن نظرى الضيقه وشهوق العاجلة .. تنسينى ماحانى الله منه ، وهذا كلما تقدمت الحضارة المادية .. انحدرت الأخلاق وتدهورت ، وأصبح ما هو حرام مباحا في عرف المجتمع وليس بقوانين الله .

ان الانسان حين يظن انه قد استغنى بعلمه او بجاهه او بماله او بقوته ، او بأشيء مما أفاء الله به عليه .. يأتى الله جل جلاله ليخرجه من هذا الظن الى الحقيقة ، ويحدث ذلك إما بالموت ، وإما بقيام الساعة وتدمير كل ما هو مألف للانسان في الدنيا يعتقد أنه حققه بذاته ، ليقول له الله سبحانه وتعالى .. مادمت قد حقيقتك بذاتك فاحتفظ به ان استطعت الى ذلك سبيلا ..

ان الحقيقة الأولى في الحياة هي الموت ، والموت يقف أمامه كل ما في الدنيا عاجز خاشع ذليل ، فأشهر الاطباء الذين اعتقد الانسان انهم يحفظون عليه صحته ، وأنهم يستبقون الحياة في جسده ، يقفون عاجزين خائعين أمام الموت لا يملكون حيلة ولا يستطيعون سبيلا ..

كذلك النعمة التي اعتقاد الانسان انها تستطيع ان تتحقق له ما يشاء وما يريد ، وانه بقوته وسلطانه يستطيع ان يفعل ما يشاء .. تقف هي الأخرى عاجزة عن أن تعطيه من القدرة والقوة ما يبقى الحياة في جسده . وفي ساعة الاحتضار يرى الانسان كل ما غاب عنه وكل ما أخبره الله به وطلب منه ان يؤمن به يراه أمام شاهدا .. أنها اللحظة التي تحمد فيها

البشرية .. ويصبح الانسان الذى كان يعتقد أنه القادر العزيز
القوى .. ذليلا خاشعا لا يقدر على شيء ! ..

ويخرج الروح بخروج الانسان عن كل مألف الحياة الى
عالم آخر لا إلف له به ، والموت ليس نهاية كما يعتقد كثير من
الناس .. ولكنه انتقال من حياة الى حياة .. من حياة دنيوية
ها قوانينها .. الى حياة برزخية لها قوانين اخرى .. ويرى مالم
ي肯 يراه .. ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿فَكَشْفَنَا عَنْكَ غُطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

(من الآية ٢٢ سورة ق)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه
الشريف :
(الناس نائم فإذا ماتوا اتبهوا)

كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « ان الناس
نائم فإذا ماتوا اتبهوا ! » كيف يقول الرسول صلى الله عليه
 وسلم .. «إن الناس نائم» بينما هم في حياة اليقظة التي
يعيشون فيها ؟ «إذا ماتوا اتبهوا» .. وكيف يكون
الانسان وهو مستيقظ وحي يملأ الأرض حرقة نائما ؟ .. فإذا
مات ورقد في قبره يكون متباها ؟ ..

نقول ان الناس في الحياة الدنيا تشغله شهواتهم وأموالهم
وما يريدون تحقيقه فيها .. يشغلهم كل هذا عن حقيقة الحياة
الدنيا ، فلا يتذمرون في آيات الله .. ويسوق الله سبحانه وتعالى لهم الدليل بعد الدليل .. ليجعلهم يؤمنون ولكنهم

يُعرضون ، فكأنهم نائم عن حقيقة ماحولهم ، فإذا ماتوا رأوا كل شيء مما وعدهم الله به واضحا جليا لا لبس فيه ، فتكون هذه لحظة الانتباه إلى الله ومنهجه وحقيقة هذا الكون .

إن الإنسان النائم يسير على غير هدى لأنه مغمض العينين .. فإذا أبصر رأى وعرف . إذن أول ما يخرج الإنسان عما ألقه في الدنيا هو الموت ، والانسان عندما يختضر يرى مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار .. انه ساعة الاحتضار يعرف يقينا أنه سيموت لما يراه في هذه الساعة .. والناس تعتقد أن الاحتضار بالنسبة لكل إنسان مساو للأخر ، فكل إنسان يختضر ويموت ، ولكن الحقيقة أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا انه ساعة الاحتضار يودع الحياة الدنيا ولا يخرج كل منا بنفس الطريقة ، بل من هنا يبدأ الاختلاف « واقرأ قول الله جل جلاله :

﴿ الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبُونَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَمَا دُخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(الآية ٣٢ سورة التحل)

إذن فالانسان الصالح المؤمن حين يختضر يرى الملائكة ، والإنسان الكافر غير المؤمن يرى أيضا ساعة احتضاره الملائكة ، ولكن الصورة مختلفة تماما ..

فالانسان الطيب المؤمن يرى ملائكة الرحمة يدخلون عليه عبشرين بالجنة ، ويقرأون عليه السلام .. وتكون وجوههم مستبشرة ، وحيثئذ يفرح الانسان المؤمن .. لأنه سينتقل الى حياة طيبة أحسن مما كان فيه في الدنيا ، ويكون وجهه مستبشرا

وأساريره منفرجة وهو يرى أن دار الاختبار قد انتهت ، وانه سينتقل الى دار النعيم يتمتع فيها بقدرات الله تبارك وتعالى ، يتهلل وجهه ، وحين تنظر اليه وهو يختضر تعرف انه يحس بأنه منتقل الى مكان أعلى من الذى عاش فيه ، وان وعد الله له بحسن العاقبة قد تحقق بالفعل .

والكافر يرى الملائكة ايضا وهو يختضر .. وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى يصف هذا اللقاء الشئوم :

﴿ وَلَوْرَىٰ إِذْ يَرَوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ مَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَيْدِ ﴾

«الآياتان ٥٠ و ٥١ سورة الأنفال»

وهكذا نرى الفارق الهائل بين الانسان المؤمن ، والانسان الكافر ساعة الاحتضار . الملائكة تقول للانسان الكافر .. هانتذا ترى ما كنت تكذب به في الحياة الدنيا ، وترى العذاب الذى ينتظرك .. فإن كان لك قوة أو قدرة ، فاخرج نفسك من هذا .. إهرب إن كنت تستطيع ولكنك لا تستطيع .

غرتك قدرتك في الدنيا فبغىث وظلمت وعصيت ، وقلت على الله غير الحق .. واستكبرت في الأرض .. والآن انتهى كل ما ألفته في حياتك الدنيوية .. فالهتك الذى كنت تعبدها من دون الله هربت واختفت لأنها زيف .. واصدقاؤك الذين كانوا يعينونك على الباطل وعلى المعصية لا يملكون لك ولا حتى لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، وكل من نصرك في الدنيا بغير حق .. أصبح الآن عاجزا عن أن يحميك ..

العرض على النار .. كيف؟

ويحدثنا القرآن الكريم .. انه في ساعة الاحتضار يكون هناك ضرب وايذاء من الملائكة للكافر ، الذى طعم خير الله ومنع شكره ..

والمعلوم ان العذاب لا يكون إلا مع وجود الحياة ، فأنتم لا تستطيع ان تعذب جسدا ميتا ، ولكن لكي يحس الجسد بالعذاب .. لابد أن تكون فيه روح ، ولذلك فإن ما يحدث من الملائكة من ضرب وإيذاء ، إنما يحدث ساعة الاحتضار وفي الجسد حياة .. ولذلك تجد الكافر عند موته وجهه مكفهر ، وعضلاته وجهه منقبضية ، وهو يرى المصير الاسود الذي يتظره .

اذن فساعة الاحتضار .. يفرق فيها بين المؤمن والكافر ، وذلك بخلاف الحياة الدنيا .. ففي الدنيا قد يكون للكافر من الجاه والعز والسلطان والعلو والشرف ما ليس للمؤمن ، ولكن ساعة الاحتضار تبدأ التفرقة وينتهي كل ما الفناء في الحياة الدنيا حيث يرى الكافر الملائكة وقد جاءوا بمقسمات العذاب وإنها لا ضربا عليه ، ويرى المؤمن الملائكة وقد جاءوا بمقسمات النعيم وبشرى الجنـة .. بل إن هناك تحديا من الملائكة .. للكافر ساعة احتضاره .. واقرأ أقول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمُوتِ وَالْمَلَائِكَةُ يَأْسِطُونَ ﴾

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا نُفُسُكُمْ كُلَّ يَوْمٍ مُّخْبِرِينَ وَنَعْذَابَ الْمُهُونِ إِمَا كَانُوكُمْ
نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِيرَاتٌ حَقٌّ وَكُنْتُمْ عَنْ أَيْتِيهِ تَسْتَكِرُونَ ﴿٩٣﴾

من الآية ٩٣ سورة الانعام

الملائكة يقولون لكل ظالم او كافر يختضر .. إن كانت لك قوة الآن كما كنت تدعى في الحياة الدنيا فاخبر نفسك بما أنت فيه .. خلص نفسك إذا كانت لك قوة او نفوذ ، ولكنك لا تستطيع .. لقد كنت في الحياة الدنيا تدعى أن لك قدرة وقوة .. ولكنك الان عرفت الحقيقة ، وعلمت أن القوة لله جديعا ، وأن كل ما عندك من الطاقة او القوة او السلطان كان من الله .. أما ذاتك فلم تكن تملك شيئا . لقد صورت لك نفسك أنك تستطيع وتستطيع وانك قادر ، ولكنك الآن في لحظة الصدق التي ليس فيها ظن ولاشك ولكن فيها يقين .

وعندما يتقل الأنسان الى حياة البرزج .. وهي نوع من الحياة يعيشها الإنسان بين الموت والبعث ، فإن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بالقليل عن قوانين هذه الحياة .. ولكنها نوع من الوجود .

الإنسان يسمع وهو ميت ولكنه لا يستطيع أن يرد .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب قاتل غزوة بدر من الكفار فناداهم ، فقال يا أبا جهل بن هشام ، يا أمية بن خلف ، ياعتبة بن ربيعة ، يا بشيحة بن ربيعة ، أليس قد وجدتم مأوى عد ربكم حقا ؟ فإني قد وجدت ما وعدهن رب حقا . فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله كيف يسمعون وأنْ يحيوُن وقد جيَفوا؟ فقال والذى نفسي بيده ما انتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون ان يحيووا) .

والله سبحانه وتعالى قد أنبأنا في القرآن الكريم .. بعض ما يحدث للموق في قبورهم .. فقال جل جلاله ..

﴿ الَّذِينَ رُعْضُونَ عَلَيْهَا عُذْوَنًا وَعِشْيَانًا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا إِلَى فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

« الآية ٤٦ سورة غافر »

ومعنى ذلك أن هناك حياة في البرزخ .. وأن هذا النوع من الحياة فيه تعقل للإنسان يجعله يميز بين الأشياء ، وإنما لو كان القبر سكونا وغيبة تامة عن الوجود ، ما كان يمكن أن يعرض آل فرعون على النار مرتين في كل يوم .. وكونهم يعرضون على النار .. معناه أنهم يستطيعون أن يميزوا ، ولا لما عرفوا أن هذه نار ، وأنهم سيعدبون فيها ، لأن عرضهم عليها كل يوم لا يمكن أن يكون له معنى .. إلا إذا كان يؤتلمهم إيلاما نفسيا شديدا .. لأنهم على يقين أنه سيعدبون فيها ، وانتظار البلاء أشد من وقوعه ، ولو لم يكونوا يتملون من هذا العرض ما عرضوا عليها .. لأنه في هذه الحالة لا يكون هناك هدف قد تتحقق .

الزمن .. وحياة البرزخ



إن في قول الحق تبارك وتعالى :
«النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غَدْوًا وَعَشِيًّا»

.. اشاره إلى أن هناك نوعا من الزمن في حياة البرزخ يختلف عن مقاييس الزمن الذي نعيش فيه ، لأن الغدو والعشي اوقات من صفات الزمن .

ولكن متى يعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا ؟

.. ان الآية الكريمة تعطينا حاليتين لآل فرعون هما :
العرض على النار ، ودخول النار .. هل كان آل فرعون يعرضون على النار في الحياة الدنيا ؟ .. طبعا لا .. إنهم لو رأوا النار وهم في الحياة الدنيا لسجدوا لله تبارك وتعالى ولقتلوا فرعون ذلك الاله المزيف ، لأنه في هذه الحالة سيوردهم النار .. مصداقا لقوله سبحانه وتعالى :

﴿يَقْدُمُ قَوْمٌ وَيُؤْرِكُونَ إِلَيْهِمُ النَّارُ وَيُنَسِّبُونَ الْوَرْدَ الْمُؤْرُودَ﴾

الآية ٩٨ سورة هود

فلو أن آل فرعون كانوا يعرضون على النار في الحياة الدنيا لعرفوا أن عبادتهم لفرعون ستؤدي بهم الى العذاب ، وما كانوا عبادوه ابدا ..

ولو قلنا أن آل فرعون يعرضون على النار يوم القيمة ..
لكان ذلك خطأ لأنهم يوم القيام يدخلونها .. والله تبارك
وتعالى يقول :

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾

«من الآية ٤٦ سورة غافر»

ومراحل حياة الإنسان ثلاث : الحياة الدنيا ، وما بين الموت
والبعث (وهي حياة البرزخ) ، وعندما تقوم الساعة . هذه
المراحل الثلاث ستحاول أن نحدد من خلالها متى يعرض آل
فرعون على النار ..

إذا كان ذلك لم يحدث في الدنيا ويوم القيمة يدخلون
النار ، فإن العرض لابد أن يتم ما بين الموت والبعث .. اي
في حياة البرزخ .

اذن فهناك حياة في البرزخ .. ومن خلال هذه الحياة
يعرض آل فرعون على النار .

والسؤال هنا : هل يعرضون على النار وهم في
قبورهم ? .. أو أنه يتم ذلك بأن الله سبحانه وتعالى يجمعهم
ليعرضوا على النار ..

وسواء تم العرض وهم في قبورهم .. أو بأى طريقة
أخرى .. فإننا نعرف من الآية الكريمة .. بأن هناك نوعا من
الحياة في البرزخ فيه تعقل وإحساس .. ونعرف أيضا أن
الإنسان في البرزخ يعرف أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار ،
 وأنه يرى مقعده في الجنة أو مقعده في النار ، وذلك مصداقا

رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» .

ولذلك فإن عذاب القبر أن يرى الإنسان مقعده من النار
عذاب رهيب ، لأنه كما قلنا انتظار البلاء أشد من وقوعه ..
ذلك أنه لو عرفت مثلاً يقيناً أن ابنك الوحيد سيموت في حادث
سيارة بعد عام .. ألا يكون ذلك عذاباً لك طوال هذا
العام .. حتى أنك تمني الموت ليريحك من هذا العذاب ..
إذن فانتظار البلاء أشد عذاباً من وقوعه ..

على أن هناك آية أخرى . في قوله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا قَوْمًا غَاضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يُسُوءُوكُمْ مِّنَ الْآخِرَةِ كَمَا يُسُوءُكُمُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْفُتُورِ ﴾

« الآية ١٣ بسورة المتحدة »

لابد أن نلتفت إلى قوله سبحانه وتعالى : «كما يئس الكفار
من أصحاب القبور» .. ومعنى انهم يئسوا أن هناك نوعاً من
التعقل قد أدخل في نفوسهم اليأس ، لأنه إذا كان الإنسان في
قبره بلا إحساس ولا شعور .. فهو لا يملك القدرة على أن يأمل
أو ييأس ، ولكن كونهم يئسوا يدل على أنهم عرفوا يقيناً أن
مصيرهم النار .

هذه بعض الصور التي أعطاها الله لنا عن حياة البرزخ ..

لنعرف أنها حياة لها قوانينها ، ولنعرف أن الله سبحانه وتعالى قد اختص آل فرعون بالعرض على النار في حياة البرزخ .. ليتجبرهم وعباراتهم لفرعون .. لأن هذه ليست معصية (اوامر) ، ولكنها مغصبة (أمر) .. ولأن آل فرعون جاءهم موسى بأيات كثيرة تثبت الألوهية لله سبحانه وتعالى وحده ، ولكنهم سخروا بها ، وأن إدخال الكافرين وال العاصين إلى النار لا يتم إلا بعد الحساب يوم القيمة .. ولكن مرحلة الحياة في القبر يعرف الأنسان فيها مصيره .. إما يكون منعماً في قبره .. فيكون في نعيم لأنه يعرف ما يتنتظره .. وأما يكون من أهل النار والعياذ بالله .. فيكون في عذاب شديد لأنه يعرف ما يتنتظره .. أما دخول الجنة أو النار .. فلا يتم إلا بعد الحساب يوم القيمة .

وخلال هذه القول أن الإنسان كلما تقدم في العلم حسب - زيفا - انه قادر ، وأن القدرة من ذاته ، وأنه متمكن في الأرض ، فيأتي الموت ليقيق من وهمه الكبير ، ويعرف أنه لاذات له ، وأن كل ما هو موجود في الدنيا هو من صنع الله سبحانه وتعالى ، ولكن الوقت يكون قد فات لأن يتوب .. لأن التوبة ساعة الاحتضار توبة إجبار بعد مارأى ، وعندما يرى الإنسان مصيره ساعة احتضاره لا تكون التوبة إيمانا .. لأن الإيمان لابد أن يكون بالغيب مصداقاً لقوله تعالى

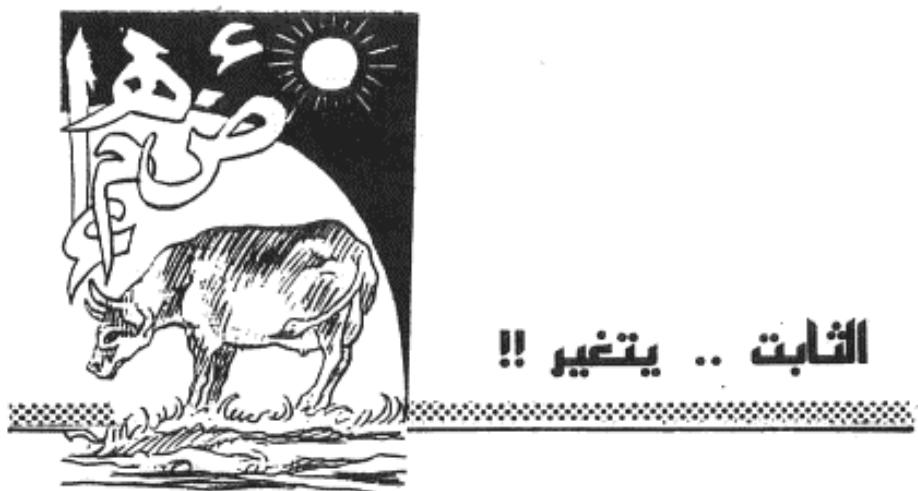
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَعْتَمِدُونَ الصَّلَاةَ﴾

«من الآية ٣ سورة البقرة»

وقد انكشف له ما كان غيباً عنه وانتهت مرحلة الإيمان

75'

الفصل الخامس



أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك نوعاً من الحياة في البرزخ .. ولكن الناس تعيش هذه الحياة بفهم الحياة الدنيا وهذا خطأ . لأن مفهوم الحياة الدنيا له قوانينه ، وحياة البرزخ لها قوانينها ، والحياة في الآخرة لها قوانينها . وكل من هذه القوانين مختلف تماماً بالنسبة للإنسان ..

فالحياة في الآخرة مثلاً أبدية ليس فيها موت ، والحياة في الدنيا فيها موت ، والحياة في البرزخ فيها كشف لما هو غيب عنا ، والله تبارك وتعالى قد عرّفنا بعض الآيات الكبرى التي ستحدث عند نهاية العالم .

هذه الآيات التي تحدث عنها نعرف يقيناً أنها ستحدث ، لأن الله جل جلاله أخبرنا بها . ولكن ليس من المفروض أن نعرف كيفية حدوثها .

إن هناك فرقاً بين أن تؤمن بالحقيقة ، وأن تعرف كيفية حدوثها . فالإيمان بالحقيقة شيء ، والإيمان بكيفية حدوثها شيء آخر . كيفية الحدوث هذه من غيب الله سبحانه وتعالى ، ولذلك عندما سأله إبراهيم ربه عن الكيفية التي تحدث بها عملية احياء الموتى كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّنَا أَرِنَا كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَئِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْأَيَّامِ الْمُعَدَّةِ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

حاول بعض المشككين من الناس أن يفسر هذه الآية على أساس أنها تمس إيمان إبراهيم أبي الأنبياء عليه السلام .. وهذا افتراء على إبراهيم ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل إبراهيم للناس أماما .. وَمَحْصُهْ تَحْصِيَا وَابْتِلَاهْ بِابْتِلَاءَتْ لَا حَصْرَ لَهَا وَلَا عَدْ ، ثبَتْ فِيهَا ثَبُوتَ الْجَبَالِ الرَّوَاسِيِّ ، وَجَعَلَ مِنْ ذَرِيَّتِهِ الْأَنْبِيَاءَ . وَلَا يَكُنْ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذَا التَّكْرِيمُ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَقًّا ، وَمِنْ أَسَاسِيَّاتِ إِيمَانِهِ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُوْقَ .

لقد كان سؤال إبراهيم هنا عن الكيفية فقط ، وأراد الله تبارك وتعالى أن يفهم إبراهيم وكذلك الناس جميعاً ألا يسألوا عن الكيفية ، لأنك مع الله سبحانه وتعالى لا تسأل كيف؟ .. فالله يقول للشيء : «كن فيكون» .. والكيفية هنا فوق قدرات العقول كلها ، ولذلك أدخل الله جل جلاله إبراهيم في تجربة إيمانية ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَوْزَ أَرْبَعَةَ مِنَ الطَّيْرِ فَصَرُّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزَءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾

(من الآية ٢٦٠ سورة البقرة)

هل عَرَفَ الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام بالكيفية؟ .. لا .. ولكنه جعله يشهد لها دون أن يعطيه أسرارها ، لأن هذا - كما قلنا - فوق قدرة العقل البشري .

تجربة حية .. للبعث

هذه القصة لم تحدث مع ابراهيم وحده ، بل ححدثت مع أحد أنبياء اليهود ، وحدثت مع زكريا عليه السلام ، وحدثت مع مريم عليها السلام .

لقد مر أحد أنبياء اسرائيل على قرية دمرها عذاب من الله تبارك وتعالى .. فقال كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿أَوْكَ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى أُرْبُوشَهَا قَالَ
إِنِّي لَمْ يَجِدْ هَذِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَانَهُ اللَّهُ
مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَنَا﴾

من الآية ٢٥٩ سورة البقرة

هذا النبي تسأله عن كيف سيحيى الله هذه القرية بعد أن دمرت تدميراً شديداً؟ . فأراد الله سبحانه وتعالى أن يلفته إلى أنه ليس مع الله كيف؟ . فأماته مائة عام ثم بعثه ، وسأله كما يروى لنا القرآن الكريم :

﴿قَالَ كُمْ لِئَلَّا قَالَ لِئَلَّا لِئَلَّا يُوْمًا أَوْ بَعْضَ يُوْمٍ قَالَ بَلْ
لِئَلَّا مِائَةَ عَامٍ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إنه عندما سأله عن الكيفية أماته الله مائة عام ثم بعثه ، ولما

استيقظ لم يكن شيء فيه قد تغير ، بل كان على نفس الهيئة التي مات عليها .. استيقظ شاباً قررياً ، لا شيء حوله ينبيه بأنه مات مائة عام .. ولذلك عندما سأله الله تعالى : ﴿ كِمْ لَبِثْتُ ﴾ ؟ . قال قياساً على عادة النوم عند الإنسان : ﴿ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ .. لأن الإنسان لا يستطيع أن ينام أكثر من ذلك . حينئذ أعطاه الله سبحانه وتعالى الدليل المادي على أنه مات مائة عام ثم بعثه .. فقال جل جلاله :

﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَسِّهُ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِبْحَعَالَكَ، آيَةً لِلتَّابِسِينَ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَفَّ نُنْشِزُ هَا شَمَّ نَكْسُوهَا الْجَمَّا ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

وهكذا أراه الله سبحانه وتعالى من قدراته كيف أنه حفظ له طعامه لم يتغير ولم تؤثر فيه السنون ، ثم نظر إلى حماره فوجد أن الحمار أصبح عظاماً نخرة .. أى أنه مات ثم تعفن ثم تحلل حتى أصبح عظاماً نخرة ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث بين يوم وليلة ، ثم أعطاه الله آية أخرى ليشهد عودة العظام النخرة وعودة الحياة إلى حماره .. حينئذ قال :

﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(من الآية ٢٥٩ سورة البقرة)

إن طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى .. قد أوقف الزمن عن الطعام فبقى طازجاً لم يفسد ، وأجرى الزمن على الحمار

فأصبح عظاماً نحرة . إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَفْعُلُ بِقَدْرَتِهِ الشَّيْءَ وَضِدَهُ ، وَلَكِنْ هَلْ أَرَاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالَهُ الْكَيْفِيَّةَ الَّتِي يَتَمَّ بِهَا ذَلِكُ ؟ .. لَا ، وَلَكِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَدْخَلَهُ فِي تَجْرِيَةٍ عَمَلِيَّةٍ لِيَعْرُفَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وزكريا عليه السلام حين دخل المحراب على مريم فوجد عندها فاكهة في غير موسمها ماذا فعل ؟ .. لقد اتجه إلى الله سبحانه وتعالى بدلائل القدرة التي رأها .. وطلب منه جل جلاله أن يرزقه بالولد . لكن زكريا تذكر الأسباب وكيف أنها منعدمة عنده وعند زوجته فقال كما يحكي القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قَالَ رَبِّي أَنِّي يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَأٌ
عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾

(الآية ٤٠ سورة آل عمران)



الأسباب وطلاقه القدرة



هل أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله زكريا عن الكيفية التي سيعطيه بها الغلام بدون أسباب؟! إن الأسباب تحكم على من هي عاقر وتقدمت في السن ألا تلد.. فإذا كان زوجها شيئاً كبيراً يكون الامتناع أكثر، بل يكون ذلك من المستحيل في أسباب البشر.. لكن من سبب الأسباب لا تعجزه الأسباب ولا تقيد قدرته.. الله سبحانه وتعالى لم يبلغ رسوله الكيفية التي سيتم بها ذلك.. ولكنـه قال سبحانه: ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾

ومريم ابنة عمران عندما بشرتها الملائكة بأنها ستلد عيسى ابن مريم.. ومع أنها رأت معجزات كثيرة تخرق قانون الأسباب.. إنه يأتيها الطعام في غير موسمه، وإنه يتواجد عندها دون أن يحضره أحد، وهذا عطاء من الله لها بدون الأسباب، لكن عندما بشرت بالغلام رجعت إلى الأسباب كما يروى لنا القرآن الكريم:

﴿قَالَتْ أَلَّا يَكُونُ لِّعَلَّمٌ وَلَمْ يَسْتَنِي بِشَرِّ وَأَدَمَ أَكْبَغِيَّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبِّكُ هُوَ عَلَيْهِمْ بِّنْ وَلِيَجْعَلُهُمْ إِعْيَا لِلْتَّارِسِ وَرَحْمَةَ مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِيَّا﴾

(الإيتان ٢٠ و ٢١ سورة مريم)

وفي سورة آل عمران :

﴿ قَالَتْ رَبِّتْ أَنِّي كُوْنُ لِي وَلَدٌ وَمِنْكُمْ سَنِي بَشَرٌ ﴾ قَالَ كَذَلِكَ
﴿ أَللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُونٌ فَيَكُونُ ﴾

(الآية ٤٧ سورة آل عمران)

وهكذا عندما تساءلت مريم كيف سترزق بغلام ولم يمسها
بشر ؟ .. والطفل - بأسباب الدنيا - لا يأق الا من اجتماع رجل
وامرأة لم يخبرها الله سبحانه وتعالى عن الكيفية التي سيتم بها
ذلك ولكنه جل جلاله قال : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ .

كذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى عندما سأله انبیاؤه
ورسله الذين اصطفاهم واختارهم من خلقه ، وكلفهم بإبلاغ
منهج السماء للأرض .. (كيف) يحدث ما حدث .. قال
الحق جل جلاله : ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ ..

كذلك اذا تحدثنا عن الآية الكونية التي سيرها الله لعباده
والساعة تقرب من موعدها لا نقول ولا نتساءل كيف يحدث
ذلك بعد أن رأينا طلاقة قدرة الله ، وأنه سبحانه وتعالى
لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .
يقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم منينا بما سيحدث
من آيات عندما تقرب النهاية ايدانا بفناء العالم :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرِجُهُنَّاهُمْ دَآبَةً مِنَ الْأَرْضِ
رُكِّلْمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِإِيمَانِنَا لَا يُؤْقِنُونَ ﴾

(الآية ٨٢ سورة النمل)

إن الله سبحانه وتعالى يخبرنا أنه بعد أن يصل الناس إلى قمة العلم الدنيوي .. ويحسبون أنهم قد حكموا كل شيء ، وسيطروا على كل شيء ، وأصبحت الأرض خاضعة لهم .. يأكِّل الله سبحانه وتعالى بأية ثبت لهم عجزهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .

لقد وصل الإنسان إلى القمر ، وقد يصل إلى المريخ ، والعلم يعطينا كل يوم شيئاً جديداً ، حتى أنه ألغى المسافات في العالم كله ، فأصبح الحدث الذي يقع في منطقة ما ، يراه الناس في كل أنحاء الأرض في نفس لحظة وقوعه ، وأصبح الإنسان يتكلم في أي مكان من الأرض ، فيصل صوته إلى الدنيا كلها في نفس لحظة كلامه ، وهناك اختراعات قادمة ربما تتحقق أكثر من ذلك .

لكن في الوقت الذي يكون فيه الإنسان مغتراً بعلمه مفتونا بما حقق .. يخرج الله تبارك وتعالى له من الأرض دابة .. هذه الدابة تحدي قدرات البشر ! فكل ما أتيح لهم من علم ، وكل ما كشفه الله سبحانه وتعالى من أسرار في كونه للإنسان ، لا يجعله يستطيع أن يجعل الدابة تتكلم .. فيخرج الله سبحانه وتعالى لهم من الأرض دابة تكلمهم !!

ولكن .. هل ستتكلم هذه الدابة لغة واحدة؟ .. أو ستتكلم بكل لغات الأرض لتكون المعجزة أكبر؟! لا أحد يستطيع أن يجزم بشيء . ولكن هذه الدابة ستثبت للبشر جميعاً أن علمهم قاصر ومحدود . لقد اعتقادوا - بما وصلوا إليه من علم - أنهم قد سيطروا على كل ما في الأرض ، ثم في ظل هذا الإعتقاد الزائف يجدون هذه الدابة التي تتكلم تتحداهم وتبين عجزهم .

كيف سيحدث ذلك ؟ !

لقد بينا أنه ليس مع الله كيف .. وستكون هذه الدابة من العلامات التي تدل على أن الساعة أصبحت وشيكة الحدوث .. هذه العلامة هي أن تتكلم الدابة ! عالمة أخرى من علامات القيامة يخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها)

لقد ألف الناس في الحياة الدنيا أن الشمس تطلع من المشرق . هذا الإلف الذي حدث بإرادة الله سبحانه وتعالى يقلبه لنا وينحرق قانونه في آخر الزمان ! ..

كيف سيحدث ذلك ؟ ..

ليس مطلوبنا منا أن نعرف .. والمهم أن نظام الكون سينقلب ، ويأك الله تبارك وتعالى إلى النظام الثابت الذي اعتاد عليه الجميع ، ليغيره بعد أن ظن البشر أنه باق وأنه سيظل هكذا دون تغيير أو تبدل .. وأن علمهم الذي حصلوه يتبع لهم القوة والمنع .

ثم تأق آية من آيات الله تنقض هذا كله في لحظة ، عندئذ يتبين للناس عجزهم وضعفهم ، وانهم لا يستطيعون - مع قدرة الله جل جلاله حولا ولا قوة .

عندما تطلع الشمس من مغربها

إن هناك فرقا - كما قلنا - بين أن نؤمن بالحقيقة ، وأن نعرف كيفية حدوث هذه الحقيقة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه قبل قيام الساعة ستطلع الشمس من مغربها ، وذلك يؤكد لنا حقيقة أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الذي يغير ولا يتغير ، وأنه لا ثبات ولا بقاء لشيء في الكون ، وأن كل مانراه ثابتًا يأق له وقت يغيره الله متى شاء .

وإذا أردنا أن نضرب لذلك مثلا يقرب ذلك للأذهان - والله المثل الأعلى - بالمجموعة الشمسية التي نعيش فيها فهذا نرى ؟ ! الأرض تدور حول الشمس ، والأرض تدور حول نفسها ، والقمر يدور حول الأرض . الا نجها اسمه الفيجا او النسر الواقع ، والله سبحانه وتعالى قال لنا في القرآن الكريم :

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقِرٍّ لَهَا ذَلِكَ هُدُورٌ الْعَزِيزُ بِالْعَالَمِينَ﴾

(الآية ٣٨ سورة يس)

لقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يضرب لنا صورة حركة الشمس فقال جل جلاله : ﴿تجري﴾ ليلفتنا الى أن حركة الشمس سريعة . لأن الجري أسرع من المشي .. ومستقر الشمس مكان لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى ..

ومادامت الشمس (تجري) مستقر لها ، وأن كل فعل له رد

فعل مساو له في القوة ، ومضاد له في الاتجاه .. فيمكنا أن نتصور - وهذا مثل لتقرير الصورة فقط ، ولا علاقة له اطلاقا بكيفية الحدوث - أنه من الممكن إن كان مستقر الشمس هو نهاية حركتها في اتجاه معين ، أن ترتد على عكس سيرها وبالقوة ذاتها فتطلع من مغربها .

إنك اذا ضربت كرة بقوة في حائط معين ، فإنها ترتد منه بنفس القوة وعكس الاتجاه . فإذا كانت المجموعة الشمسية تسير الى مستقر لها ، فقد يأتى يوم - حين يتنهى مسارها - ترتد بالعكس . والحق سبحانه وتعالى يقول (والشمس تجري لمستقر لها) أى أن لها مستقراً ستقف عنده .

قد يكون وقوفها عند المستقر يجعلها ترتد في عكس اتجاهها ، فإن كانت تأق من الشرق ، فستأق من المغرب .

هذا مثل تقريري لأننا جميعا لا نستطيع أن نجزم ، أو حتى نعطي احتمالا لما سيحدث ، ولكنها صورة تقريرية ليتصور العقل البشري امكانية طلوع الشمس من مغربها .

ويجب ألا يغيب عن أذهاننا حقيقة هامة مرتبطة بهذه الآية الكبرى .. هي أنه حين تطلع الشمس من مغربها لا تقبل التوبة . يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف :

(إِنَّ اللَّهَ يُسْطِعُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسَيْءُ النَّهَارِ، وَيُسْطِعُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسَيْءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)

إذن طلوع الشمس من مغربها هو آية كبرى من آيات الله ستحدث ، فإذا حدثت لا تقبل التوبة .

السماء والدخان



تنقل بعد ذلك إلى علامة أخرى من علامات الساعة ، عندما تكون وشيكـة الحدوث .. اقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿فَإِنَّقِبَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَعْشَى النَّاسَ
هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ رَبَّنَا أَكْثَرُهُ عَنْكَ
الْعَذَابُ إِنَّمَا يُؤْمِنُونَ﴾

(الآيات من ١٠-١٢ سورة الدخان)

هذه علامات أخرى من العلامات الكبرى لنهاية العالم .. وكل الآيات التي تحدثنا عنها هي من العلامات الكبرى لنهاية العالم ، ذلك أن السماء ستأتي بدخان يغطي الأرض كلها ، وهذا الدخان سيحيط بكل مكان بعد أن يكون الإنسان قد عصى واغتر وترك منهج الله ، واعتقد أن الدنيا تسير بقوانينه هو . حينئذ يأكـيـ هذا الدخـانـ وفيـهـ عـذـابـ لـلـنـاسـ وـعـحـيطـ بـالـأـرـضـ .. فـيـتـضـرـعـ النـاسـ إـلـىـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ انـ يـرـفـعـ عـنـهـمـ العـذـابـ لـأـنـهـ آـمـنـواـ وـثـابـواـ وـعـادـواـ إـلـىـ طـرـيقـ الـمـنـجـ ..

ولكن بمجرد أن يرفع الله عنهم العذاب يرتدون كافرين !! فتـأـقـ بعدـ ذـلـكـ الـبـطـشـةـ الـكـبـرـىـ وـالـإـنـقـامـ الـإـلهـىـ منـ أولـئـكـ الـذـينـ يـرـؤـنـ آـيـاتـ اللهـ وـيـجـحدـونـهاـ .

أن هذه التحديات التي أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم هي الآيات الكبرى لقرب نهاية
العالم . لقد تحدى الله سبحانه البشر جميعاً أن يجروا فعله
وقدره . يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ حُرِبَ مِثْلُ فَاسِقَةِ الْأَوَّلِينَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَلَنْ
يَسْلِبُوهُمُ الْذُبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقِدُهُ وَمِنْهُ ضَعْفَ الظَّالِمِ
وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقٌّ قَدْرُهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ بِغَرِيفٍ ﴾

• (الأياتان ٧٣ و ٧٤ سورة الحج)

هذا التحدي من الله خلق الله جميعاً تحدي استمر أربعة عشر
قرناً وسيستمر حتى نهاية العالم دون أن يستطيع الإنسان أن
يخلق ذبابة . . ذلك المخلوق الضعيف الذي أراد الله سبحانه
وتعالى أن يتحدى به الدنيا كلها مجتمعة دون ما تحديد لزمان
أو مكان ، ودون ما تحديد لشعب معين أو لفئة معينة أو لجنس
معين ، وإنما طلب الله تبارك وتعالى من علماء العالم جميعاً أن
يتحدوا ويتعاونوا ويتكاتفوا ليخلقوا الخلية الحية ، ولكنهم حتى
الآن وإن استطاعوا أن يحققوا أشياء كثيرة في علوم الفضاء
وغيرها . . إلا أنهم لم يستطيعوا أن يخلقوا الخلية الحية .



التجدي قائم ومستمر ..

إذن فهناك تحد أقى منذ نزول القرآن الكريم ، وتحد يأقى
قرب نهاية العالم ، وكل هذه التحديات لم يستطع أحد أن
يواجهها ، لأن المتحدى هو الله سبحانه وتعالى ، وكلما مر
الزمن .. يأق الله بتحديات أكبر للبشر ، لماذا ؟ لأنه كلما مر
الزمن ضعف الخط الإيماني .. وازداد الناس تعلقا بالعلم
وازدادوا غرورا بعمولهم .. والله تبارك وتعالى يبين لهم تفاهة
علمهم بالنسبة للقدرة الألهية .

ولعل بعض الناس يتساءلون هل سيف适用 القرآن في آخر الزمان كما يضعف الخط الإيماني؟! ونقول لا .. إن الإيمان سيف适用 ، ولكن القرآن سيعمل ، ونحن نرى ذلك الآن . وبينما يقل الإيمان ، يعلو القرآن .. فنجد من يهتم بطباعة المصاحف الأنثقة المزخرفة بباء الذهب ، ونجد أن كل إنسان حريص على أن يكون عنده مصحف أو أكثر في بيته ، أو في سيارته أو في محل عمله وربما لو بحثت لوجدت أنه لم يقرأه ولو مرة واحدة .. ونجد من غير المسلمين من يعتنى بطباعة القرآن طبعات فاخرة ، ومن يكتب القرآن كله في صفحة واحدة ، ومطابع المصاحف في اليابان وإيطاليا والمانيا الغربية .. كل هذا يحدث لأن .. حتى أن الله سبحانه وتعالى يسخر غير المسلمين بطباعة القرآن بشكل يليق بجلالة كلماته !! ولذلك فأنت تتعجب حين ترى من ليس بمسلم يخدم طباعة القرآن .. ولا يخدم طباعة الكتاب الذي يؤمن به !! .

إن خط القرآن سيعلو ، لأنه محفوظ من الله سبحانه وتعالى .. ولكن الخط الإيمانى هو الذى سيفصل كلما تقدم الزمن .

وكان المفترض أن يكون العكس .. لارتفاع مدارك الإنسان واطلاعه على بعض ما أظهره الله له من أسرار الكون وقوانينه التي دفعته إلى الرقي والتقدم !! .. ناق بعد ذلك إلى قول الحق جل جلاله :

﴿ إِنَّمَا مُشَاهِدُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ فَلَا يَحْتَلُطُ بِهِنَّيَّاتُ الْأَرْضِ إِنَّمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَتِ الْأَرْضُ رُزْقَهَا وَأَرْبَيْتَ وَظَنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَهُمْ أَمْرُنَا لَيَلَّا أُوْنَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَ لَهُ تَغْنِيَةٌ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَضِّلُ الْأَيْتَ لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

في هذه الآية الكريمة يعطينا الله تبارك وتعالى مثل الحياة الدنيا من أوها إلى آخرها ، من البداية إلى النهاية . فكل ما في هذا الكون نزل من السماء قبل وجودخلق ليبدأ دورته على الأرض .

الله جل جلاله يشبه لنا الحياة الدنيا بالماء الذى يتزل من السماء . فيدون الماء الذى يتزل من السماء لا تكون هناك حياة على الأرض .. ولو امتنع المطر مات كل من عليها من انسان

وحيوان ونبات .. ولأصبحت الأرض صحراء جرداً أو أرضاً ميتة ..

إذن أسباب الحياة تأتي كلها من السماء ، إنها تنزل طاهرة مطهرة ، فتختلط بالأرض ، وتعطى للناس ما يأكلونه وتأكل أنعامهم .. تعطيهم الغذاء والماء وما يحفظ حياتهم .. حينئذ يبدأ الناس في تزيين الأرض .. وكل ما على الأرض هو زينة لها .. مصداقاً لقوله سبحانه تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا النَّبَلُوْهُمْ
أَيْمَانُهُمْ وَأَحْسَنُ عَمَلاً ﴾

(الآية ٧ سورة الكهف)

ويجب أن نلتفت إلى نص الآية الكريمة .. لماذا لم يقل الحق جل جلاله (زينة لكم) ..؟ ذلك لأن كل ما على الأرض لا يستطيع أحد أن يملكه ، فهو يبقى في الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فملكية الناس هي ملكية مجازية .. إنهم مستخلفون فيها ملوكوا ..

أنا أقول مثلاً أنا أملك هذه العمارة . ولكنها في الحقيقة ستنتقل بعد أن أفارق الدنيا من يد إلى يد إلى إنسان كثرين ، كل منهم يدعى أنه مالكها ، ثم يتركها ويمضي ويأتي آخر وهكذا .

إذن كل ما على الأرض من زينة ومن حدائق فيها من الشمرات ، ومن عمارات يتفنن أصحابها في أن تبدو في شكل جيل جذاب .. زينة يتمتع بها حتى من لا يملكونها بمعنة النظر .

اننا في الحقيقة نزين الأرض ، والزينة على الأرض تزداد كلما تقدم الإنسان في العلم واكتشف وسائل جديدة تزيد من زينة الأرض .. وتجعلها مكان اقامة مزييناً للإنسان جيلاً بعد جيل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وإذا أردنا أن نجمل ماقصتنا نقول : انه ليس مع الله سبحانه وتعالى كيف .. وانه جل جلاله اذا قال « كن » فإن الشيء يكون ، وانه كلما تقدم العلم ظن الناس أنفسهم قد سيطروا على الأرض وما فيها ويستطيعون أن يفعلوا بها ما يشاءون .

حيثئذ يأتي أمر الله ليهلك هذا كله ، وتظهر الحقيقة للبشر كل البشر ، أنها لن تظهر كغبييات مطلوب الإيمان بها .. ولكنها كواقع مشهودة عندما تأتي نهاية العالم .



الفصل السادس



ونعرف الحقيقة

صلف الانسان وغروره صورا له - بعد ان
كشف الله له بعض اسرار كونه - انه قادر
على تسيير الحياة وفق مشيئته وتدبيره ،
فابتعد عن منهج الله وشرع لنفسه ، وهذا
جهل مطبع ، وغرور لا يستند الى اساس ،
واما كان نسمع الان صيحات الجحالة بأن
عصر الایمان قد انتهى وبدأ عصر العلم ، فما هذه الصيحات
الا مقدمة لأن يعبد الانسان ذاته ونفسه .

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز

﴿ إِنَّمَا تَشْكُرُ لِتَحْمِيلَةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
فَلَا خَتَّلَكُ بِهُنَيْنَاتُ الْأَرْضِ تِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ
حَتَّىٰ إِذَا أَخْدَتِ الْأَرْضُ رُتْخَافَهَا وَأَزْيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلَهَا
أَنَّهُمْ قَدْرُونَ عَلَيْهَا أَتَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا
فَعَلَّمْنَا حَسِيدًا كَانَ لَمَّا تَغَنَّ بِالْأَنْسَسِ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَنْفَكُرُونَ ﴾

(الآية ٢٤ سورة يونس)

لقد استطاع الانسان ان يضفي على الارض زينة وزخرفا لم
تعرفها العصور السابقة من قبل .. وكل يوم يعطى العلم
جديدا يزيد في رفاهية الانسان .. ولكن هل أضاف الانسان
شيئا من اساسيات الحياة وضرورياتها ؟

ويجب ان ندرك جيدا ان الانسان ليس اصيلا في الكون ،
وانما هو طارئ عليه ، إنه يأتى ويعيش فترة محددة ثم تنتهي

حياته ، والانسان لا علاقه له بعمر الدنيا ، ذلك أن الدنيا قد يكون عمرها مئات الألوف من السنين او ملايين السنين ، لكن هذا يجب ألا يشغلنا ، اما الذى يشغلنا هو فترة حياة كل منا على هذا الارض .. إنها لن تزيد عن مائة سنة او اكثر قليلا .

ان ثبات الكون يعطينا شعورا (وهميا) بشيئين :

الشعور الاول : ان هذا الكون ليس له نهاية ، ومهما قال الناس عن نهاية الكون ، تجد كل من يعيش فيه يعتقد انه لازال هناك ملايين السنين حتى يتنهى الكون .. وهذا مجرد وهم .

والثانى : هو أن الاشياء التي تخدمنا في الكون تعطينا بذاتها .. وهو ايضا وهم .. انها في الحقيقة تعطينا بقدرات الله سبحانه وتعالى ، وكل شيء في هذا الكون خاضع لقدرة خالقه ، ولا يحدث شيء في كون الله يخرج عن مراد الله الفعلى ، ولا يستطيع الانسان الا ان يزين الارض بما اودعه الله فيه من قدرات ، وكل ما على الارض هو زينة لها ..

مصداقا لقوله تعالى :

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا إِنَّبِلُوهُمْ أَمَّا هُمْ أَحَدُنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَعَلْنَاهُ مَا عَلَيْهَا صَرِيعًا جُرُزاً﴾

(الآياتان ٧ - ٨ سورة الكهف)

اذن فكل ما هو على الارض وما تراه اما هو زينة للارض نفسها ، وانت تستمع بزينة الارض مادمت عليها ، فإذا انتهى عمرك ، انتهى تمتعك بزينة الارض .. تذهب انت ولكن ما على الارض يبقى زينة لها .. ويوم يأتي امر الله ويتهى هذا

العالم يصبح كل ما على الارض من زينة حطاما .. وينتهي كل شيء .

الله سبحانه وتعالى حين يجد أن الإنسان قد اغتر بنفسه وترك منهج السماء رغم ما اعطاه الله سبحانه وتعالى من آيات تثبت أن الخالق هو الله ، تكون مهمة الحياة الدنيا قد انتهت .. ثم يطلع الله سبحانه وتعالى بعد ذلك الإنسان على الحقيقة وكأنه يقول له :

لقد غرتكم نفسيك وابتعدت عن المنهج ، واعتقدت أنك تسير الكون بذاتك ، ولذلك سأطلعك على الحقيقة .
ومن هنا يجب أن تتبه إلى معنى الآية الكريمة :

﴿ وَإِنَّ أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

(من الآية ٢٤ سورة يونس)

بأن هذا ظن وليس حقيقة .. إنهم ليسوا قادرين عليها ، لكنهم يتوهرون بذلك .. وهذا زيف .
حيثئذ يأك الحق سبحانه وتعالى ويغير الشيء الثابت في الدنيا بطلاقه قدرته التي ليس لها حدود ، ولا تقيدها قيود .

نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم

وعن الآيات التي ستوالى مما لا عهد للإنسان به ، والتي تمهد لنهاية العالم .. يخبرنا الله ببعضها كما جاء في قوله جل جلاله :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ وَإِذَا الْجُومُ أَنْكَرَتْ وَإِذَا الْجَيَالُ
سِرَرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطَلَتْ وَإِذَا الْوَحْشُ حُشِرَتْ وَإِذَا
الْحَارُ سِحَرَتْ وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ
سُيِّلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ وَإِذَا الصُّوفُ نُثَرَتْ وَإِذَا
الْسَّمَاءُ كُشِطَتْ وَإِذَا الْجِيمُ سُرِّعَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ
عِلِّمَتْ فَقْسٌ مَا أَخْضَرَتْ ﴾

(الآيات من ١ - ١٤ من سورة التكوير)

متى تحدث هذه الصور المتعددة ؟ إنها ستحدث عندما يوحى الله تعالى إلى الأرض والكون كله أن يدمر. وما هي إلا لحظات حتى يتدمى الكون كله ويتهى . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا زُلِّتِ الْأَرْضُ زُلِّتِ الْأَرْضُ أَشْنَالَهَا
وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَشْنَالَهَا يَوْمَئِذٍ تُحْدَثُ لِخْيَارَهَا يَأْنَ رَبِّكَ ﴾

أَوْعِي لَهَا يَوْمٌ ذِي صِدْرٍ الَّذِي أَشْتَأْنَاهُ وَأَعْمَلَهُمْ
 فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
 ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾

(سورة الززلة)

والوحى هو اعلام بخفاء بين الموحى والمموحى اليه ..
 لا يفهمه احد الا من اوحي ومن اوحي اليه .. والله سبحانه
 وتعالى يوحى ما يشاء لمن يريد ، فليس الوحى مقصورا على
 الرسل ، لكنه يشمل مخلوقات كثيرة . فالله سبحانه وتعالى
 اوحي الى رسله ، واوحى الى ام موسى مصداقا لقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مُوسَى أَنْ أَرْضِعْنِي فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ
 قَالَ قِيَمَهُ فِي الْيَمِّ ﴾

(من الآية ٧ سورة القصص)

وأوحى الى النحل بقوله تعالى :

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اخْبِذِنِي مِنَ الْجَبَالِ بُوْتَانَ
 وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِنَ الْعِرْشُونَ ﴾

(الآية ٦٨ سورة النحل)

كما اوحى الله الى الحواريين اتباع عيسى بن مرريم عليه
 السلام وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا أَوْحَيْتَ إِلَى الْحَوَارِيْنَ أَنْ أَمْنُوا بِي وَرَسُولِي ﴾

(من الآية ١١١ سورة المائدة)

والوحى قد يكون من غير الله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله
جل جلاله :

﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلَيَاءِهِمْ لِرَجْدِ لُوكَمَةٍ﴾

(من الآية ١٢١ سورة الانعام)

ولكن الوحي الشرعى هو من الله سبحانه وتعالى
للرسل ..

عندما تأقى نهاية العالم يوحى الله سبحانه وتعالى إلى
الارض .. كيف ؟ لقد قلنا انه ليس مع الله كيف . قد يقول
بعض الناس ان الارض جماد لا يعقل ، فكيف يوحى اليها الله
سبحانه وتعالى ؟

نقول ان الخالق جل جلاله قد جعل لكل خلق من خلقه
لغة يتكلمونها . هذه اللغة لانفهمها نحن ، ولكن يفهمها
خالقها ويفهمها المخلوق . ولذلك عندما تقرأ القرآن تجد ان
الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِهِمْ وَلَا كُنْ لَا تَفْهَمُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

(من الآية ٤٤ سورة الاسراء)
ومعنى ذلك ان كل شيء في الكون مسبح بحمد الله عابد له
ولكتنا بعلمنا القاصر المحدود لا نسمع ولا نفهم هذا
التسبيح ..
يقول جل جلاله تعالى :

﴿وَسَخَّنَ امَّاعَ دَأْوَدَ الْجَبَالَ يُسَخِّنَ وَالظَّرِيرُ﴾

(من الآية ٧٩ الأنبياء)
٩٧

وإياك ان تعتقد ان هذه المخلوقات التي تراها أقل منك ادراكا او وعيها ، فقد تكون هذه المخلوقات أوفي منك علما . فالنملة عقلت أنه إذا مر جنود سليمان فإنهم سيحطمون مملكة النمل ، ولذلك صاحت مخدرة باقى النمل بأن يدخلوا مساكنهم التي يأوون فيها هربا من الانسان حتى ينجوا من التحطيم . واقرأ قوله سبحانه وتعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْهُمْ عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَهُ يَأْتِيهَا النَّمْلُ دَخْلًا مَسِكَنَكُمْ لَا يَحْطِمُنَّكُمْ سَلِيمَنٌ وَجَنُودُهُ ﴾

(من الآية ١٨ سورة النمل)

كيف عقلت هذه النملة ان الذى يمر هو سليمان عليه السلام وجنوده ؟ ! ومن اين علمت ذلك ؟ ! .. وكيف عقلت أن سليمان وجنوده إذا مرروا فإنهم سيحطمون وادى النمل ؟ ! وكيف عرفت وعقلت ان النمل اذا دخل مساكنه فإنه سينجو من التحطيم ؟ ! لابد ان يكون للنمل علم او عقل هو الذى جعله يفهم كل هذا .. نحن لا ندرى كل هذا بل ونحتقر النملة لصغر حجمها وسهولة القضاء عليها .

واقرأ ما قاله المهدى لسليمان عليه السلام كما يمحى القرآن الكريم :

﴿ فَكَثُرَ عَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ الْحَطَّتُ بِمَا لَمْ تُحْظِيهِ وَحْتَنَكَ مِنْ سَبَّا بَنَبَّا يَقِينٍ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا أَعْلَمُكُمْ وَأَوْنَتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهَا عَرَشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمًا يَسْجُدُونَ

لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَّا يَسْجُدُوا
 لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
 تُحْكُمُونَ وَمَا تُعْلِمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

(الآيات من ٢٢ إلى ٢٦ سورة النحل)

كيف احاط المهدد بما لم يحط به سليمان الذي اوق ملكاً لم يؤته احد من البشر؟ ..

ومن الذي اخبر المهدد أن هذه ارض سبا ، وان الذي يحكم هذه البلاد امرأة ، وانها ملكة وأن لها عرشا عظيما ، وانها وقومها يعبدون الشمس من دون الله وان هذا كفر ، وان الشيطان هو الذي زين لهم ذلك وصدتهم عن سبيل الله ولذلك فهم لا يهتدون؟ !

من الذي عرف المهدد ان العبادة لله وحده وأن الله له ملك السموات والارض . الى اخر ما تقوله لنا هذه الآيات الكريمة .
 كيف عقل المهدد ذلك بينما نقول نحن عنه انه لا عقل له !!
 كيف عرف كل هذه المعلومات وان هذه الارض اسمها مملكة سبا؟

ان هذا كله وغيره مما ورد في القرآن الكريم يؤكّد لنا ان هناك علماً لمخلوقات الله لا نعلمه نحن البشر ، وانها تستطيع ان تميز وتعقل ، وانها وان كانت مخلوقة بالغرابة ، الا ان الله عز وجل اعطتها ما يمكنها من اداء مهمتها في الكون .. فإذا كان ذلك مع الحيوان والطير والمحشرات ، فإن الارض ايضا

والسماءات تسمعان وتنطقان ..
وأقرأ قوله تعالى :

﴿ ثُرَّ أَسْنَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ
أَئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَوْهًا قَالَتَا أَئْنَا طَاطِعِينَ ﴾

(الآية 11 من سورة فصلت)

الله سبحانه وتعالى كلّ السماءات والارض وردت عليه
السموات والارض بعد ان سمعت كلام الله عز وجل . وفي
ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَتْ وَأَذْنَرَ لِهَا وَحْقَتْ وَإِذَا
الْأَرْضُ مُدَثَّ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَحْلَتْ وَأَذْنَتْ لِرِبِّهَا وَحْقَتْ ﴾

(الآيات من 1 الى 5 من الانشقاق)

ومعنى قوله تعالى (وأذنت) أنها سمعت بأذنها - اين نحن
من هذا العلم اللامنهائي في هذا الكون ؟ ! اذا كان الله سبحانه
وتعالى قد بين لنا بعض قوانين كونه فاستعملينا عليها وحسبنا ان
الكون خضع لنا بإرادتنا ، واننا نستطيع ان نفعل فيه ما نريد
وان نأمره هذا الكون فيطيع ...
اذا تأملنا هذه الآيات الكريمة نجد ان في الكون علما لامنهائيا
محجوبا عنا ، وان ما نعلمه هو اقل القليل ..

عندما يعبد الإنسان عقله

حين يكفر الإنسان بربه ويعبد عقله ويعتقد انه سيطر على الكون ، يأق أمر الله سبحانه وتعالى ليهدم كل مأله في الكون أعطى الإنسان هذا الشعور الكاذب بأنه قادر على الأرض ، فيتهوى هذا المأله .. ت تكون الشمس وتض محل وتحتفى او تطلع من مغريها او تذهب قوتها وضوؤها .. المهم ان الرتابة المعهودة في الشمس والقى الفناها حيث شرق في الصباح وتغرب في المساء تختفى تماما .. وتتغير قوانين الشمس ، والنجوم التي تهاسك مع بعضها البعض بقدرة الله والتي تسير في مسارات معدة لها بحيث لا يصدم نجم غيره .. هذه النجوم تصدام وتتناثر ، كذلك الجبال التي على الارض تنسف من مكانها . وفي ذلك يقول الله عز وجل :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَسْفُهُا رِبُّ نَسْفًا ﴾

(الآية ١٠٥ سورة طه)

أو يخف وزنها .. فهي كالعهن المنفوش ، إن الصورة الكاملة لكل ما سيحدث عند نهاية العالم هو أن المأله يتهوى .. والذى ألفت انه يخدمك .. وكان يخدمك بتسيير الله له .. قد انتهى تسيير الله واصبح غير مسخر لخدمتك . الأرض التي كانت تعطيك الزرع والثمر الذى تأكله لا تعطيك شيئا ، والجبال التي كانت هي او تاد الأرض تحفظ توازنها ويخزن فيها اقوات البشر تسف نسفا ، والشمس التي

كانت تعطيلك الدفء والنور وتبعث الحياة في الكون هي الأخرى لم تعد لها مهمة . انتهت مهمتها ، وزينه الأرض التي كنت تظن أنها من صنعك وانك ستقيها ذهبتك وتخلت عنك .. كل هذا انتهى .. دنيا الاسباب زالت وانتهت وحتى سيطرتك على نفسك زالت وانتهت .

حتى قدمك لم تعد تخضع لك تمشي بها الى حيث تشاء ، بل أصبحت تخضع لخالقها الذي كان قد استخلفك فيها وجعلها تطيعك فيما تريد ، ويدك التي كنت تبطش بها انتهت سيطرتك عليها ولم تعد تخضع لإرادتك .. بل ان كل أجزاء الجسم التي اخضعتها الله سبحانه وتعالى لمشيتك أصبحت غير خاضعة لك .. فانت تمشي الى حيث اراد الله ولو إلى جهنم ، ولسانك لا ينطق الا اذا شاء الله .. وعينك لا تبصر الا اذا اراد لها الله دون امر منك .. ولذلك هناك من سيحشر يوم القيمة أعمى وقد كان في الدنيا بصيرا .. لماذا ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي اعطى لعيئه قدرة البصر في الدنيا .. وهو الذي سلب منه هذه القدرة في الآخرة

لقد كان الناس يحسبون انهم يعيشون بقدراتهم ، ويكتسرون بقدراتهم ، ويتكلمون بقدراتهم ، حسبوا انهم عندما اكتشفوا قوانين الريح .. واستخدموها في اغراضهم الدينية أنهم قد سيطروا عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى الذي اعطاهم هذه القوانين يسلبها منهم وهكذا كل شيء حولك تغير .. وكل شيء ألفته في الدنيا يتغير .

هذا بالنسبة لمن سيكونون أحياء عند نهاية العالم ، ولكن هل من سيكونون في قبورهم عند نهاية العالم ستتغير قوانينهم ؟ .. نقول نعم .. لأنها بداية مرحلة جديدة للجميع

ولذلك فإن أجسادهم تعود إليهم ، وارواحهم تعود إلى أجسادهم .. يخرجون من الأرض وقد ذهب عنهم الموت الذي لازمهم طوال فترة القبور ..

الله سبحانه وتعالى يخبرنا أن فترة القبور ليست أبدية ، ولكنها فترة معينة يغادر بعدها الإنسان القبر .. فيقول جل جلاله :

﴿ الْهَكُومُ الْكَاثُرُ حَتَّىٰ زَرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾

(الآية ٢٠١ سورة التكاثر)

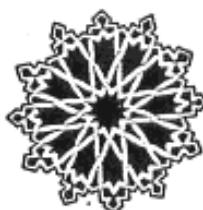
ولابد أن نلتفت إلى قوله سبحانه وتعالى « زرتم » .. ولم يقل خُلِّدُتُمْ أو بقيتم .. ومعنى الزيارة كما نعرفها أنك تذهب عند قريب او صديق لتزوره فتبقى عنده فترة من الوقت ثم تصرف ، لا تبقى عنده مقيما ولكن زائرا .. وإن طالت الزيارة او قصرت فإنها فترة تنتهي .. ان هذا ينطبق ايضا على الموق سكان القبور منذ عهد ادم حتى نهاية العالم فهم (زوار) هذه القبور ، يقضون فيها الوقت ثم يغادرونها ..
ولكن هل يحس الانسان في القبر بالزمن ؟ .. هل الذين ماتوا من عهد ادم يحسون بزمن بقائهم في قبورهم ؟
والجواب لا .. ولذلك عندما يسأل الله الناس بعد ان يخرجوا من قبورهم .. « كم لبستم » ماذا يكون جوابهم ؟ ..
اقرأ قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَقِيمُ اللَّجْمُونَ مَا لِشُوَاغِرُ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ وَقَالَ الَّذِينَ أَوْلَوُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ

لَقَدْ لِي شُتُّمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَةِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثَةِ
 وَلَا كِتَابٌ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(الآياتان ٥٥ ، ٥٦ سورة الروم)

إذن ففى حياة البرزخ لا يحس الانسان بالزمن ، لأن الزمن هو قياس للاحداث ، ومادام ليس هناك احداث فليس هناك زمن .. وان كل من مات مرصود في كتاب لا يصل رب ولا ينسى .. وانه سبحانه احصاهم وعدهم عدا .. لا يختلف منهم أحد يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وان هذا الكتاب لا يفوته شيء ابداً .



كيف ستعود الأجساد ؟



لابد لنا من وقفة هنا . . بعض الناس يتساءل كيف ستعود الأجساد كما هي ، وكيف سيعود الاشخاص كما هم . . مع ان الأجساد بليت ؟

يرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله جل جلاله :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ تَعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كَافِعُونَ ﴾

(من الآية ١٠٤ سورة الانبياء)

وهذا امر يسير على الله سبحانه وتعالى ، لأن الله الذي اوجد من عدم ، وخلق على غير مثال ، او جدهم في الحياة الدنيا لم يكونا موجودين ، ويكون اسهل عليه ان يعيدهم في الآخرة لأنه ايجاد من موجود ، ونحن نستعمل (اسهل) مجازا لمخاطبة العقول البشرية . . لأنه لا يوجد سهل ولا صعب على الله تبارك وتعالى . . بل كل شيء عليه جل جلاله هين ولا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء ؟

وإذا أردنا أن نقرب هذا إلى الذهان نقول : إن الله قد ميز كل إنسان في الحياة الدنيا بأشياء لا ينطبق فيها مع غيره ، وأول هذه الأشياء هي بصمة الاصبع . . فلا توجد بصماتان متشابهتان من أول الدنيا إلى آخرها . .

وكل جسد إنسان مميز عن غيره . . لذلك تجد أن خلايا الجسد يعرف بعضها بعضا بشفرة خاصة أو بلغة يعلمها الله تبارك وتعالى . فإذا جرح الإنسان مثلاً جرحاً كبيراً . . تجد أن

خلايا الجسم تتجانس وتتكاثر حتى تلشم وتعود الى طبيعتها ،
فإذاً جتنا ببعضو من جسد وحاولنا ان نزرعه في جسد آخر نجد
انه يلفظه ولا يتقبله !!

كيف ميز الجسد بين ما هو منه ، وما هو من جسد غيره ، مع
ان كل الاجسام متشابهة !! لابد ان لكل جسد شفرة خاصة
تميّزه عن الجسد الآخر .. وان هذه الشفرة لا تتكرر .. وحتى
عندما تنجح زراعة الاعضاء فلا بد من زرع له عضو من جسد
آخر ان يتناول العقاقير والادوية التي تمنع او تقلل من فعالية
هذه الشفرة حتى لا تلفظ هذا الجزء الغريب الذي نقل من
جسد آخر .

كذلك لكل جسد رائحة خاصة تميّزة نحن لا نستطيع ان
نميّزها ولكن بعض الحيوانات كالكلاب - مثلا - تستطيع ..
ولذلك اذا شم متديلا او قطعة قماش فإنه يستطيع ان يخرج
صاحبها من بين مئات الاشخاص .

وهنالك عشرات من الاشياء التي تميّز كلاما منا عن الآخر ..
تميّزا يجعلك تستطيع ان تخرج الشخص نفسه من بين مئات
الاشخاص .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أعطانا هذا العلم رحمة
بعقولنا .. فإنه يجعلنا نفهم انه عندما تعود الأرواح الى
الأجسام .. ستعود الى الجسد الذي كانت فيه ، حيث يكون
تميّزا عن بقية الأجسام التي وجدت من يوم آدم حتى الى نهاية
العالم .

الإنسان وعناصر الأرض



صحيح اننا جميعا مخلوقون من عناصر الأرض ، ولكن لكل منا خلق مميز وتكوين مختلف عن تكوين الآخر .. ان نسبة العناصر في الجسد ليست واحدة وان كانت العناصر واحدة فكل واحد منا يجتمع فيه الستة عشر عنصرا الموجودة في الأرض ، ولكن النسب تختلف بين كل واحد وأخر . ولتقريب ذلك الى الأذهان فانا نستطيع باللون الطلاء ان ننتاج درجات مختلفة من اللون لا عدد لها .. فإذا اتينا باللون الأبيض مثلا ووضعنا عليه بعض ذرات من اللون الأصفر لاختلف ، فإذا زدنا الكمية اختلف اللون ، فإذا جئنا باللون الأحمر ووضعنا عليه نقطة او نقطتين على الخليط لاختلف ، وإذا وضعنا سبع او ثمان نقاط لاختلف ، وذلك فإن ضبط الألوان عملية في متنهى الدقة .. لأن كل زيادة من أي لون .. تعطينا لونا جديدا .

هذا بقدرة المخلوق ، فكيف بقدرة الله سبحانه وتعالى . لقد خلق الإنسان من عناصر الأرض .. وهي - كما قلت - ستة عشر عنصرا أساسيا .. كل ذرة من احد هذه العناصر ان زادت تعطى انسانا مختلفا .. وان نقصت تعطى انسانا مختلفا .. وبقدرة الله جل جلاله تعطينا عددا لا ينهايا في البشر .

وهكذا نرى ان تغييرا أساسيا يحدث بالنسبة للإنسان عندما يتنهى العالم .. ولكن شيئا واحدا سنختلف فيه جميعا .. هو

الصعقة التي ستصيب كل ما هو حي الا من يشاء الله .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَنُفَخَ فِي الْفُوْرِ فَصَعَقَ مَنِ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾

(من الآية ٦٨ سورة الزمر)

ان هذه الآية تلفتنا الى شيطين هما ان الله تبارك وتعالى قد استثنى بعض خلقه من الصعقة التي ستحدث .. فكأن هناك من لن تصيبه الصعقة وهو لاء في علم الله .
وعندما يتنهى العالم ويتهنى علم الانسان الذي ظن انه سيطر به على الارض .. يعرف الناس الحقيقة ويعرفون ان علمهم كان علما ظاهريا .. مصداقا لقوله جل جلاله :

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُنَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾

(الآية ٧ سورة الروم)

عند ذلك يعرف الناس العلم الحقيقى وبعد ان كان هذا العلم قد اعطاه الله سبحانه وتعالى لنا (علم يقين) في الحياة الدنيا يصبح (عين يقين) .. فهناك علم يقين ، وحق يقين ، وعين يقين . فما الفرق بينها ؟

نقول : إن العلم الذي نأخذه عن الله سبحانه وتعالى هو علم يقين .. لأنه صادر عن الحق جل جلاله . فالمؤمن يؤمن ان ذلك سيحدث فعلا وكأنه يراه امامه .

والله تبارك وتعالى يقول :

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنْ أَحْيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ
هُمْ غَافِلُونَ ﴾

(الآيات ٥ - ٧ ، سورة التكاثر)

فـكـانـاـ نـأـخـذـ الـعـلـمـ عـنـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ بـأـنـهـ عـلـمـ يـقـينـ ،ـ
ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ عـنـدـمـاـ نـرـىـ الغـيـبـ بـعـدـ خـرـوجـ الرـوـحـ سـوـاءـ فـ
حـيـاةـ الـبـرـزـخـ اوـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ فـإـنـ رـؤـيـتـنـاـ لـهـ هـىـ رـؤـيـةـ (ـعـيـنـ يـقـينـ)ـ
اـىـ نـرـاهـ بـأـعـيـنـاـ وـهـوـ اـمـامـاـ ..ـ اـمـاـ بـعـدـ الـحـسـابـ فـإـنـ الرـؤـيـةـ
تـكـوـنـ فـهـذـهـ الـحـالـةـ حـقـ الـيـقـينـ ،ـ لـاـنـهـ مـنـ يـدـخـلـ النـارـ وـيـصـبـحـ
فـيـ دـاـخـلـهـ يـكـوـنـ ذـلـكـ (ـحـقـ يـقـينـ)ـ اـنـهـ تـذـوقـهـ وـأـحـسـهـاـ وـمـنـ
يـدـخـلـ الجـنـةـ يـكـوـنـ ذـلـكـ (ـحـقـ يـقـينـ)ـ لـأـنـهـ قـدـ تـذـوقـ نـعـيمـهـ بـعـدـ
اـنـ رـأـهاـ وـدـخـلـهـ .ـ

وـهـكـذـاـ مـعـ نـهـاـيـةـ الـعـالـمـ يـنـتـهـىـ كـلـ زـيـفـ مـنـ عـلـمـ الـاـنـسـانـ
وـيـرـىـ اـمـامـهـ كـلـ شـىـءـ عـلـىـ حـقـيـقـتـهـ وـبـلـاـ زـيـفـ وـفـيـ يـقـينـ كـامـلـ ،ـ
فـيـرـىـ الـمـلـائـكـةـ ،ـ وـيـرـىـ الشـيـاطـيـنـ وـيـرـىـ الجـنـةـ وـيـرـىـ النـارـ
وـيـعـرـفـ عـظـمـةـ خـالـقـهـ جـلـ وـعـلاـ ..ـ وـيـعـلـمـ يـقـينـاـ اـنـ لـاـ حـولـ وـلـاـ
قـوـةـ فـهـذـاـ الـكـوـنـ اـلـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ..ـ

وـتـنـتـهـىـ دـنـيـاـ الـاـسـبـابـ بـشـمـوسـهـاـ وـاقـمـارـهـاـ وـنـجـومـهـاـ ..ـ
لـتـشـرـقـ الـاـرـضـ الـجـدـيـدةـ بـنـورـ رـبـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ ثـمـ يـوـضـعـ
الـكـتـابـ وـيـقـامـ الـمـيزـانـ وـتـوـقـيـ كلـ نـفـسـ ماـعـمـلـتـ بـعـدـ اـنـ اـنـتـهـتـ
دـنـيـاـ الـاـسـبـابـ وـاصـبـحـنـاـ فـيـ حـضـرـةـ اللـهـ مـسـبـبـ الـاـسـبـابـ
هـذـهـ بـعـضـ خـواـطـرـىـ عـنـ نـهـاـيـةـ الـعـالـمـ ..ـ وـالـلـهـ اـسـأـلـ اـنـ
يـوـقـنـاـ وـهـدـيـنـاـ سـوـاءـ السـبـيلـ .ـ

فهرست

صفحة	الفصل الأول :
٣	المتغير والثابت
٨	● الانسان .. وقوانين التغيرات
١١	● العقل واكتشافات الكون
١٧	● بقدرات الله .. لا بقدراتك
١٩	● المغيبات والغروب الانساني
	الفصل الثاني :
٢١	البداية والنهاية
٢٤	● الانسان وعناصر الارض
٢٧	● ماهي الروح
٢٩	● الروح من أمر ربى
٣٥	● لا تفتر .. فللwort يأتي بفتحه
	الفصل الثالث
٣٧	المتقبل اليماني الحياة
٤٢	● الله احسن الخالقين
٤٤	● هذا خلق الله
٥٠	● الايمان .. والتقدم العلمي
٥٣	● آيات الله .. وارتقاء الكون
	الفصل الرابع
٦٠	المأوف ينتهي
٦٥	● اتباع المنهج .. وقاية للمجتمع
٦٨	● العرض على النار .. كيف ؟
	● الزمن .. وحياة البرزخ
	الفصل الخامس :
٧٣	الثابت يتغير
٧٦	● تجربة حية .. للبعث
٧٩	● الاسباب وطلاقه القدرة

● عندما تطلع الشمس من مغربها ..	٨٢
● السماء والنيران ..	٨٥
● التحدي قائم ومستمر ..	٨٧
الفصل السادس :	
ونعرف الحقيقة	٩١
● نهاية العالم كما يصورها القرآن الكريم ..	٩٥
● عندما يعبد الإنسان عقله ..	١٠١
● كيف ستتعود الأجساد ..	١٠٥
● الإنسان وعناصر الأرض ..	١٠٧

رقم الإيداع / ٣٣٢٨

الترقيم الدولي

I. S. B. N.

977 - 08 - 0714 - 6

دار
مطبوعات
الطباعة